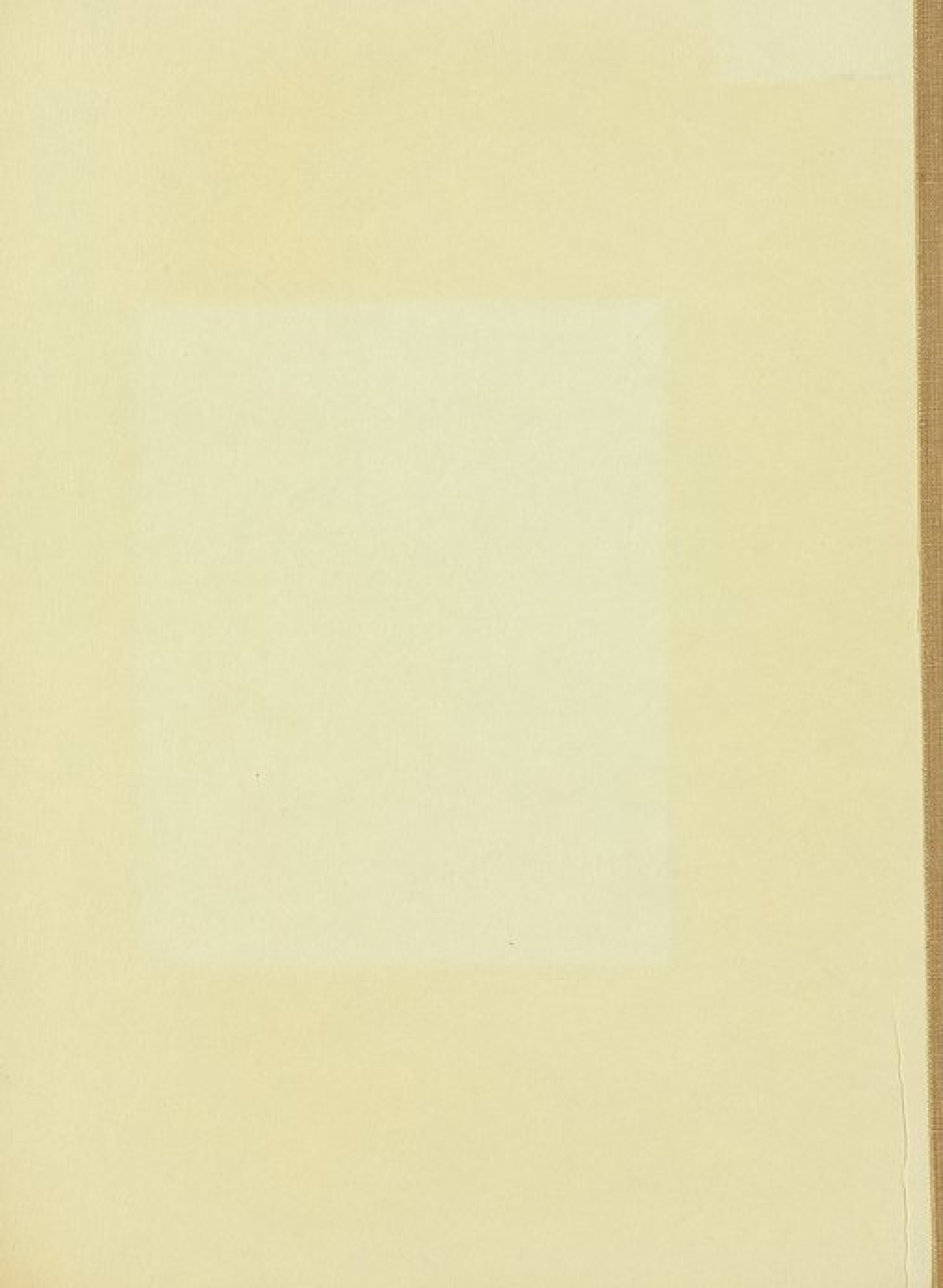
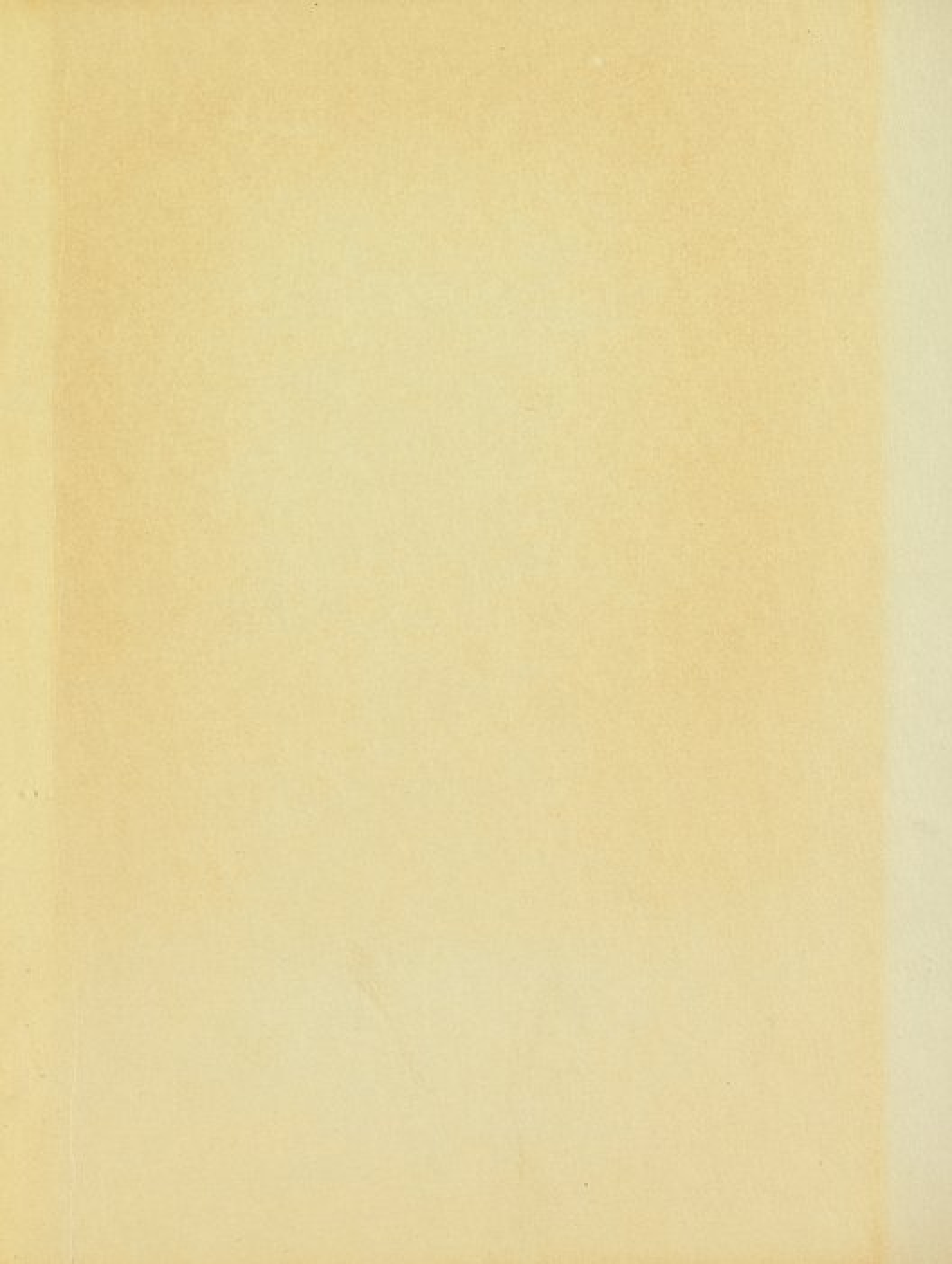



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI





الحارثيات
٦

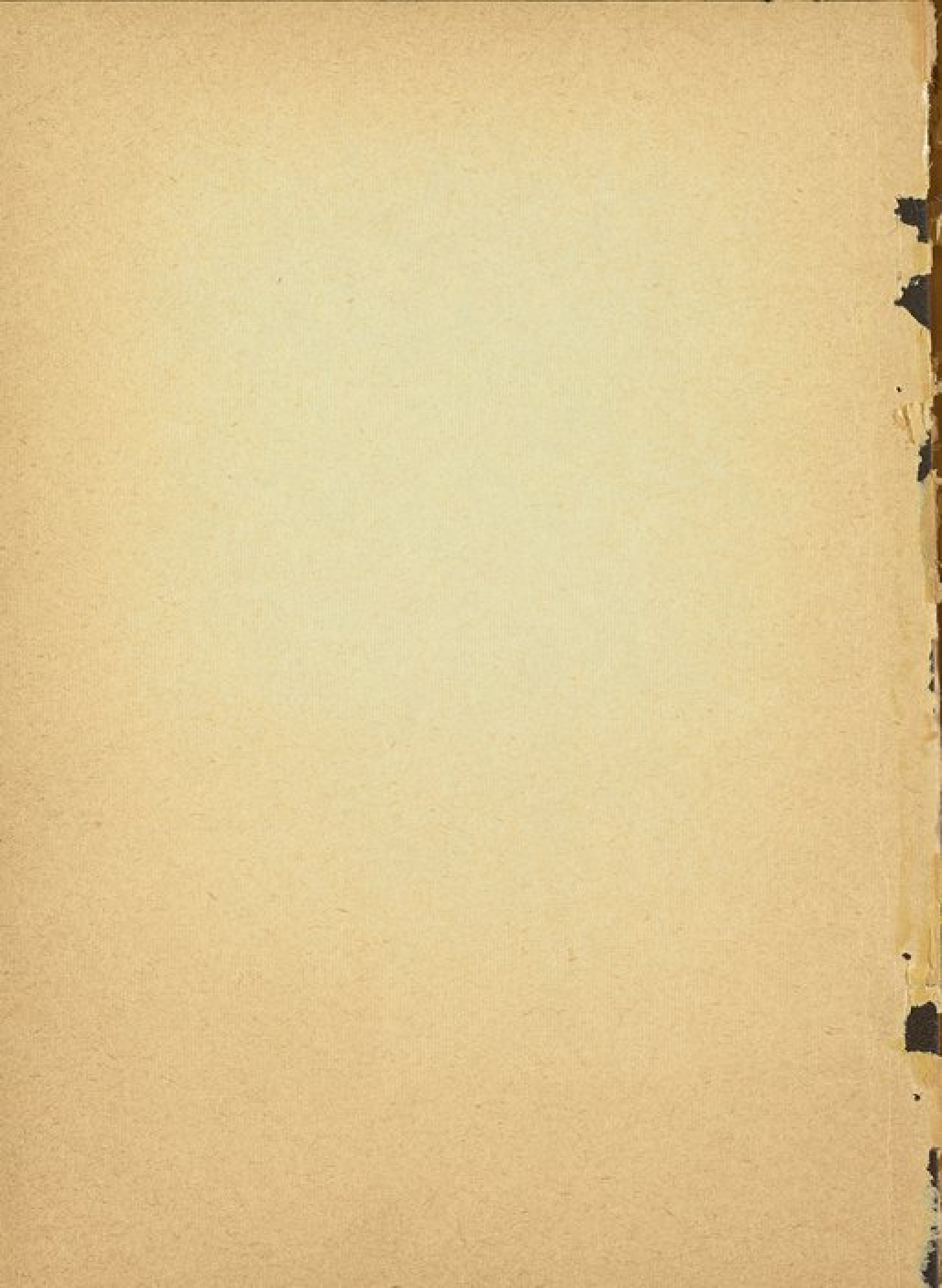
أَحْلافٌ أَمْ اشْتِراكٌ..؟!

تأليف

الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين
بيروت







الحارثيات
٦

أخلاق أم أشراك..؟!

تأليف

الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين
بيروت

الطبعة الاولى

بيروت ، نوار ١٩٥٥

حمى الاحلاف

تتفشى في الشرق العربي في هذه الآونة حمّى وبائية ، هي حمّى الاحلاف . وتكاد هذه الحمّى تذهب بكل قواه وهي تشغله عن كل شيء آخر . انها الشغل الشاغل لحكوماته وشعوبه ، على ما هنالك من فارق ، بين شغل الحكومات وشغل الشعوب بها . ومهما كان الفارق بين شغل الجانبين ، فما ليس بالاستطاعة انكاره ، ان هذا الانشغال ، من شأنه ان يصرف العالم العربي عن الاهتمام بشؤونه الوطنية الداخلية العمرانية ، بل هو صرفه عنها بالفعل . فاذا كان هذا الانصراف هو ما تبغيه الدول الاجنبية الاستعمارية لتبلغ غاياتها من هذا العالم ، فاية حكمة تسوّغه لنا نحن ، اهل هذه المنطقة ، التي هي بامسّ الحاجة الى العمل والانشاء والتعمير والتقدم ، على يد اصحابها لا على يد الغيارى الآخرين ؟

والاحلاف التي نعنيها ، هي الاحلاف العسكرية ، التي تسعى الدول الغربية الى جرّنا اليها ، ان لم يكن عن طريق الاقناع ، فعن طريق الفرض والتهديد . والذي يدعو الى التعجب والاستغراب ، ان هذه الدول ، تدعي انها تفعل ذلك ، لما بينها وبيننا من صداقة تقليدية ، ومصالح مشتركة ، وحضارة مشتركة ، من واجبها المحافظة عليها ، والدفاع عنها ، اذا كنا نحن مقصّرين (وهي ترانا كذلك) عن القيام بهذا الواجب . وهي لا ترى ايما بأس في اللجوء الى وسائل ، ليس فيها شيء من مقومات الصداقة والحضارة والمشاركة في المصلحة .

وقد يكون من المفيد ان نبحث مسألة الاحلاف ، على ضوء المنطق والواقع ، بحيث لا ندع لحمّاها ان تستحوذ على مشاعرنا واهوائنا وعلى تفكيرنا ايضاً .

ان المحالفات العسكرية تعني بداهةً وجود فكرة الحرب عند المتحالفين . وغرضها الاول خلق جبهة تضمر العداء لجبهة اخرى مقابلة . فتوطيد الصداقة وتبادل المنافع بين الدول والشعوب ، لا يستلزمان قيام ارتباطات حربية وعسكرية بينها ، الا اذا كانت الصداقة غطاء لنيات عدوانية ، تضمرها الدول المتعاقدة ، او احداها على الاقل ، تجاه جهة ما ، وتبغي من وراء تعاقدها مع الاصدقاء ان تجرهم معها . هذا ما نخشى ان نقع فيه في

هذه الغمرة من الاحداث الحاصلة في عالمنـا العربي ، وفي تهالك الدول الغربية واشياعها عندنا ، على المضي في سياسة التحالف الخطرة .

فلنبحث اذاً هذه السياسة على ضوء ما يقوله فيهـا المؤيدون والمعارضون . واذ نحن نقرّ ونؤكد عدم امكانية درس الموضوع من الوجهة اللبنانية وحدها ، وبمعـزل عن الوجهة العربية كلها ، لا نجد بدّاً من جعل البحث شامـلاً العالم العربي كله ولو قصرنا بعض نقاطه على لبنان لاننا بوصفنا منه ، نعرفه اكثر مما نعرف غيره .

ليس في نيتنا ان نقارن بين مؤيدي الاحلاف ومعارضيها من حيث عدد هؤلاء واولئك . فالمؤيدون واكثريتهم الساحقة من الطبقات الفوقية ، من المشتغلين بالسياســة ، ومن اصحاب الاعمال والمتزعمين ، يدعون انهم يتكلمون باسم الشعب . والمعارضون ، واكثريتهم الساحقة من ابناء عامة الشعب ، ينكرون على المؤيدين صلاحية التكلم باسمهـا ، ولا يقرونهم على تأييد الاحلاف . ان استفتاء شعبياً حراً على هذه النقطة وحدها ، من شأنه ان يظـهر اين هي الكثرة وأين هي القلة ، ويبطل ادعاء كل من الطرفـين ويوقف معركة الاتهامات بينهما . ولكن الاستفتاء الشعبي الحرّ ، على هذه النقطة دون سواها ، لكي يكون استفتاء حراً ، حقاً وصدقاً ، يجب ان يجنب مختلف عوامـل

التزييف والاكراه والاغراء ، وهذا ممكن اذا حسنت النيات ، لكي لا يأتي استفتاءً على الشكل الذي تجري فيه الانتخابات في هذه البلاد . فالى ان تقبل السلطات الحكومية والفئات الفوقية المؤيدة للاحلاف ، باجراء مثل هذا الاستفتاء ، وتعطي الادلة المحسوسة على جعله حراً بالفعل سيظل المعارضون يقولون انهم الاكثرية ، والاكثرية الساحقة ، وهم على حق فيما يقولون .

لنعد الى ما يقوله المؤيدون وما يجيبهم به المعارضون . ولما كانت مسألة الاحلاف المطروحة على بساط البحث والتي تشغلنا عن كل شيء ، لا تشمل غير التحالف مع الدول الغربية ، اذ ان التحالف مع الدول الشرقية الاشتراكية ليس ذا موضوع ، لا من قبلنا ولا من قبل هذه الدول ، فهي اذاً ما سنتناوله في بحثنا هذا .

لماذا يؤيدون الأحلاف؟

يقول مؤيدو الاحلاف مع الغرب ، ان تحالفنا مع الدول الغربية ، يؤمن لنا مساعدة هذه الدول إيانا ولا سيما مساعدة زعيمتها الولايات المتحدة ، التي نحن بحاجة الى مساعداتها ، لاننا فقراء ومتخلفون اقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً . ومن شأن هذا التحالف ان يقينا خطر اسرائيل على البلاد العربية ويضع حداً لمطامع الدولة الصهيونية ، كما أن من شأنه ايضاً ان يبعد عنا خطر الشيوعية والعدوان السوفياتي ، ويؤمن الاستقرار والاستقلال في هذه المنطقة ، ويتلاءم مع حضارتنا ، التي هي حضارة « العالم الحر » الذي يتألف من الدول الغربية . ويذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فيقولون ان لا مناص لنا من التحالف مع الغرب المرتبطة مصالحه بمصالحنا ، ما دام هذا الغرب موجوداً عندنا ، وقابضاً على مرافقنا ، وله

مصالحه الحيوية (بالنسبة اليه بالطبع) في بلادنا ، وهم يعنون بذلك مصالحه الاستثمارية ، من نفط وغير نفط ، ومصالحه الاستراتيجية . ثم يزيدون على ذلك قولهم ، ان الواقعية تفرض علينا هذا التحالف ، حتى ولو كان فيه شيء من الغبن ، شئنا ام ابينا ، والافضل اذاً أن نشاء مختارين ، لكي لا نفيق يوماً ونجد انفسنا مكرهين .

فلنتناول هذه الحجج واحدة واحدة .

المساعدات

هناك معزوفة يرددها مؤيدو الاحـــلاف كما يرددون الصلوات . وهي ان البلاد العربية بلادٌ فقيرة ومتأخرة ، ولن تستطيع ان تقف على ارجلها الا اذا سندها الغرب وتكرّم عليها بالمساعــدات المالية والفنية والعسكرية الخ الخ . ويقول هؤلاء ، انه لا يضرّ البلاد العربية ، ان تتنازل للغرب عن بعض حقوقها ، طمعاً بهذه المساعدات ، حتى اذا توفرت عندها الامكانيات ، صارت قادرة عـــلى الاضطلاع بمهامها الداخلية والخارجية ، دون ان تكون محتاجة الى احد . والغريب ان الذين يرددون هـــذه المعزوفة ، ترديدهم للصـــلوات وطقوس العبادة ، والذين ينعون الفقر والمسكنة ، ولا يستغنون عن سيـــاسة الاستجداء ومدّ الايدي ، هم من الفئات الحاكمة والفئات

العالية ، التي تنعم بحياة مرفهة قلما ينعم بها احد من طبقتها في ايما بلد من بلدان العالم ، حتى اكثرها غنىً واوسعها نفوذاً .

في كتابنا « واقع العالم العربي * » بحث ضافٍ ومطوّل ، ومعزز بالارقام وتقارير الخبراء من اجانب ووطنيين ، يظهر بوضوح ان العالم العربي ، ليس فقيراً كما يقولون ، بل هو من اغنى العوالم في الدنيا . ولكن غنى العالم العربي محجوز عليه من الدول الغربية نفسها ، بواسطة شركاتها وبتأييد هذه الدول بالذات ، كما هو محجوز عليه ايضاً ، بقسمه الأضأل ، من حكام العرب ومن يدور في فلكهم من استغلاليين واستثماريين وتجار وطنية . وغنى العالم العربي ليس مقتصراً على بلد او بلدين او ثلاثة فقط كما يريد ان يصوّره البعض ، بل يشمل جميع البلدان العربية ولو بنسب متفاوتة ، اذ لو أحسن تنظيمه على اسس مصلحية ذات منافع متبادلة ، لعمت فائدته كل قطر عربي ، سواء أكان قطراً منتجاً ، او مستهلكاً ، او ناقلاً ، او وسيطاً .

ان تخلّف العالم العربي اذاً ، تخلف مفتعل ومقصود ، اكثر مما هو طبيعي . وفقر العالم العربي ، هو فقر في النفوس اكثر مما هو فقر في المادة . وفقر النفوس لا

---

* اجتناباً للترديد نحيل المشككين في هذا القول الى ما جاء في هذا الكتاب .

يشفيه ايما نوع من المساعدات ، مهما كثرت ، ومن ايما جانب جاءت . فكيف بها اذا جاءت من الذين ساعدوا ، وما زالوا يساعدون ، على افتعال التخلف وافقار النفوس ؟

لنعد الى ما هو واقع ، ونلق نظرة على هذه المساعدات التي يغرّرنا بها الغرب ويطالبنا ان نقابلها بالتحالف معه ، والتي تتحمس لها الجماعة المؤيدة خشية ان تضيع علينا الفرصة اذا ابينا التحالف مع الغرب . ولكوننا من لبنان ، ونعلم عن هذه المساعدات وملابساتها وما تنطوي عليه من مرام ، قد لا نكون نعلمها كلها في سائر الاقطار العربية ، لا نرى بدأً من حصر بحثها في البلد الذي نعيش فيه ، اذ ان ما هو واقع في لبنان لا يختلف كثيراً عما هو واقع في الاقطار العربية الاخرى .

ان المساعدات التي تتحدث عنها الجماعة المؤيدة ، هي تلك التي تقدمها او تعد بها الولايات المتحدة الاميركية سيدة الدول الغربية وزعيمة « العالم الحر » وصاحبة الكلمة فيه ، والحاملة سيف التهويل والتهديد . واكثر ما تتجلى فيه هذه المساعدات ، هو مشروع الرئيس ترومان ، الذي كان يسمّى في بدايته مشروع النقطة الرابعة ، والذي يسمّى اليوم مشروع المساعدات الخارجية للامن المتبادل .

لا حاجة لنا بالتعمق في درس هذا المشروع ، وما بيّت فيه من نيات ، وما هي المقاصد التي حدت

بالولايات المتحدة الى وضعه موضع التنفيذ . فلقد شرحنا ذلك شرحاً وافياً ، مقروناً بالشواهد ، من تصريحات الرئيس ترومان نفسه وتصريحات اقطاب السياسة والاقتصاد الرسميين في اميركا بالذات ، وذلك في محاضرة القيناها عام ١٩٥٢ في مدينة صيدا واثبتناها في الجزء الثاني من « الحارثيات » * ولذلك نكتفي الآن بالقاء نظرة على ما قامت به النقطة الرابعة من اعمال ، وما اغدقته علينا من مساعدات في مدة السنوات الخمس التي مضت عليها في لبنان .

اذا تركنا جانباً ما تعد به هذه النقطة للمستقبل ، اي بعد تحالفنا مع الغرب ، لا اظن ان مجموع المساعدات المقدمة للبنان ، من يوم ولد المشروع الى اليوم ، يزيد عن الخمسة ملايين دولار ، اي خمسة عشر مليون ليرة لبنانية (ربما اكون بالغت في المبلغ ولكن لا بأس من البحبوحة) . وهو مبلغ ، من العار على دولة تحترم نفسها وتطمع باحترام دولي ، ان تعده مكرمة من الدولة المعطية ، يجب ان نقابلها ليس بالامتنان وحسب ، بل علينا ان نقرن امتناننا بالرضوخ لارادتها والسير في ركابها في الطريق التي تسلكها ، مهما كانت هذه الطريق وعرة وخطرة . وعدا عن ذلك علينا ان نفتح لها بلادنا ، لكي تستثمر رساميلها فيها بمطلق حريتها ، وباساليبها المتعددة ، وعلينا ايضاً ان نعترف لها بامتيازات مادية ومعنوية ، ولو

* سلسلة الحارثيات ، كتاب وقود للنار والنور .

كان في هذه الامتيازات شيء من الانتقاص لاستقلالنا وسيادتنا وكرامتنا .

ولست احسب اني أكتشف القمر ، عندما ابين ما يقوم به رجال هذه النقطة من اعمال في لبنان ، لا تتلاءم ابداً مع ما كان المشروع يعد به عندما وضع من جانب الولايات المتحدة واتُفق عليه من جانب الحكومة اللبنانية في ذلك الحين . يكفيني ان استشهد على ذلك برئيس الحكومة آنئذ وهو الذي وقع الاتفاقية ، بل يكفيني ان استشهد بحملات التجريح التي تحملها اكثرية النواب والوزراء ، وفي جلسات المجلس النيابي الرسمية ، على هذه النقطة ورجالها وعمالها . هذا اذا اردت ان اغفل تدفق الشكاوى التي يمطرها الاهلون على الحكومة من المناطق التي تعمل فيها هذه النقطة .

بعد خمس سنوات من ولادة المشروع ، وبعد التجربة والاختبار ، تبيّن لكل ذي عينين ، ان المساعدات التي قدمتها او وعدت بتقديمها النقطة الرابعة ، لا يقصد منها انعاش اقتصاديات البلاد ورفع مستوى شعبها ، بل يقصد فقط ، الى توغل خبرائها في بلادنا ، وتدخلهم في كل كبيرة وصغيرة من شؤوننا ، وتهيئة « المناخ الملائم » (هذا تعبير ناظر الخارجية الاميركية اتشيسون بالذات) لفرض خطط اميركا في لبنان ، سواء اكانت هذه الخطط عسكرية حربيّة ، او استثمارية استعمارية . وهي تقصد

ايضاً جرّ بلادنا الى فلكها التجاري والاقتصادي ، بالاضافة الى فلكها العسكري والحربي . انها تقرن كل مساعدة مقدّمة بشرط ، وهو ان تشتري بالقيمة المقدّمة منها ، ادوات او مواد او بضائع من سوق الولايات المتحدة . ويقول لنا الاقتصاديون ، ان المساعدات التي تكون على هذا الشكل ، تعود فائدتها الى مقدّم المساعدة ، اكثر مما تفيد الجانب الذي تُقدّم اليه . وآخر ما جاء على صحة قولنا ، الدفعة الاخيرة التي قررتها الولايات المتحدة وهي سبعة آلاف دولار ، تستعمل لشراء ماكنات طباعة من الولايات المتحدة بالذات . هكذا ورد في برنامج الاعتماد المذكور . اكثر الله الخيرات على الجانب المساعد ، وعفا الله عن ذلة الجانب الذي يقبل هذه المساعدة ، والذي لو كان فرداً لسامحناه ، ولكنه دولة يا طويل العمر .

ان المساعدات التي تتكرم بها علينا الولايات المتحدة ، وتمنّ علينا بها ، وتطالبنا بعقد احلاف عسكرية معها ومع الغرب ثمناً لها ، هي ، بتصريحات المسؤولين في اميركا انفسهم (بالطبع عندما يلقون تصريحاتهم في اميركا ولرجال الاعمال فيها) ذات هدف واحد ، وهذا الهدف هو مصلحة اميركا لا مصلحة لبنان ولا غيره من البلدان التي وقعت في شَرَك المشروع . بل ان هذا الهدف هو معاكس كل المعاكسة لمصلحة هذه البلدان وشعوبها . في لبنان ، ناهيك عن البلدان الاخرى ، رؤساء وزارات

ووزراء صرّحوا بذلك . المجلس النيابي في جلسات رسمية قال ما نقوله . الاهلون في المناطق التي يتجول فيها خبراء المشروع لاخذ الصور والتجسّس بين الناس ، فلقوا الارض والسماء باحتجاجاتهم . جمعيّة الصناعيين والاقتصاديين ، نشرت اكثر من تقرير عمّا تلحقه النقطة الرابعة من اضرار بالصناعات الوطنية . الميزان التجاري بين لبنان والولايات المتحدة ينقض كل حجج المتفائلين بهذه المساعدات . ان ما تربحه الولايات المتحدة من لبنان ، سواء عن طريق التجارة بينه وبينها ، او عن طريق منحها اراضينا لمرور بترولها مقابل تعويض زهيد يُخجل من لم ينضب في وجهه ماء الحياء ، يفوق ما تقدمه لنا من مساعدة ، وتمنّ علينا به ، وتطالب بان نتقيد بارادتها من اجله ، عشرين ضعفاً على اقل تقدير ، كما تبيّن بوضوح ان هذه المساعدات هي جزء من عشرين من الاموال التي تنهبها منا الاوساط المالية الاميركية بطرقها الاستثمارية والتجارية المختلفة . فاعجب لناهب ينهب العشرين ، ويتكرم على من ينهبه بواحد منها ويطالبه بعقود تكفل له نهب الاجزاء التسعة عشر الباقية . فعلى هذا الضوء ماذا يبقى من حجّة المطالبين القلائل ، والقلائل جداً ، بانضمامنا الى الغرب ، لكي لا تحرم بلادنا من هذه النعمة ، نعمة المساعدات ؟

فلننتقل الى تفنيد الحجة الثانية .

مجابهة الخطر الصهيوني

مما لا شك فيه ان العالم العربي يواجه خطراً من قبل الدولة الصهيونيّة . وهو يتهم الدول الغربيّة ، والولايات المتحدة بالدرجة الاولى ، بأنها وراء هذا الخطر . وليس في البلاد العربيّة كلها من يبرّىء الدول الغربيّة من هذه التهمة .

لقد عاش اليهود في البلاد العربية اجيالاً وسنوات ، ولم يَنَلْهُمْ من العرب ايّما اساءة ، بل كانوا يتمتعون بجميع حقوق المواطن . فالعرب ليسوا عنصريين ، ولا يؤمنون بالعنصريّة .

ولكن اسرائيل لا تؤمن بما يؤمن به العرب من هذه الناحية . انها دولة عنصرية مائة بالمائة . ومنذ قامت في قلب البلاد العربية ، وهي تدلّل على تبنّيها القضية الصهيونيّه تبنّياً كاملاً . ان تصريحات اقطابها العالميّين ،

وتحرّشات اسرائيل بالدول العربية ، واعتداءاتها المتكررة على الحـدود ، ونياتها التوسعية على حساب الاقطار العربية ، كل هذا يعطي الدليل القاطع ، على وجـود الخطر الصهيوني ، على العالم العربي .

وكما انه ليس في الشعوب العربية من ينكر وجود هذا الخطر ، فليس في هذه الشعوب ايضاً من يجهـل (باستثناء قلّة من الحكام تريد ان تتجاهل لغرض ما) ان للدول الغربية ضلعاً قوياً في ايجاده ، خدمة لغايتهـا الاستعمارية في الشرق العربي . وقـد دلّلت الدول الغربيّة ولا سيما اميركا ، كما انها ما زالت تدلّـل ، على انها القوة وراء الستار ، واحياناً قدّامه ، الـتي تسند اسرائيل ، سواء في سكوتها عن اعتداءاتها المتكررة على العرب ، ام في تغذيتها بالمال والعتاد ، ام في وقوفها الى جانبها في القضايا التي تعرض في هيئة الامم المتحدة ، ام في قضية اللاجئين المنكوبين ، ام في تنفيذ قرارات جامعة الامم نفسها ، التي انتهكتها اسرائيل ، دون ان يحاسبها على ذلك احد من دول الغرب ، هذه الدول نفسها التي تسعى الى ضمّنا اليها ، والتي يسعى الى ضمّنا اليها ، نفرٌ من حكّامنا ، الذين نعفّ عن وصفهم باكثر من أنهم مخطئون .

ان الذين يؤيدون التحالف مع الغرب ، على اعتباره وسيلة لتقويتنا بالسلاح ، ومجابهة الخطر الصهيوني ، إمـا ينقصهم الكثير من الفهم والتفهم ، أو انهم مدفوعون بغايات

ليس فيها ما يشرّف . فالدول الغربية التي يريدنا هؤلاء ان نتحالف معها ، هي أمّ اسرائيل وابوها وحاميتها ومدللتها . ان المسؤولين في هذه الدول يصرحون علنا ، ودونما لف ولا دوران ، ان هذه الاحلاف ليست موجهة ضد اسرائيل ، بل هم يصرحون اكثر من ذلك ، ان هذه الاحلاف هي تمهيد لعقد الصلح بين العرب واسرائيل ، ومقدّمة للاشتراك معها في جبهة عسكرية موحدة ضدّ الشيوعية والاتحاد السوفياتي (تصريح وكيل خارجية الولايات المتحدة) . هذا فضلاً عن تصريح آخر ادلت به رسمياً مؤسسة المساعدات الخارجية الاميركية ، على اثر اتفاقية المساعدات العسكرية للعراق ، قالت فيه ، ان تقديم هذه المساعدات السلاحية للعراق ، مشروط بعدم استعمال هذا السلاح ضدّ اسرائيل ، الامر الذي لا يترك ايما قيمة لتصريحات نوري السعيد ، التي ادعى فيها عدم وجود ايما قيد او شرط في الاتفاقية المذكورة .

لو اردنا ان نجيء على الشواهد التي اعطتها وتعطيها الدولتان الأميركية والبريطانية ، والتي تثبت ان مجابهة الخطر الصهيوني ودولة اسرائيل ، ليست ذات موضوع في الاحلاف التي نعقدها مع الغرب ، لضاق نطاق هذا البحث عن استيعابها . ولذلك نكتفي منها بالقليل ، وهو ما ورد على لسان من لكلامهم اهمية خاصة لكونهم مسؤولين يديرون السياسة في الغرب .

في معرض التحدث عن معاهدة نوري السعيد – مندريس والأشادة بها ، صرّح وزير خارجية بريطانيا (رئيس الوزارة اليوم) ان هذه المعاهدة هي الاولى من نوعها ، لانها لم تتعرض لاسرائيل ، وليس فيها ما يبيت خطراً او عداء لهذه الدولة . ثم وصفها ايدن بأنها معاهدة حكيمة تدل على ان المتعاقدين فيها يتفهمون الواقع . وعندما سئل وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم عن دخول بريطانيا في هذه المعاهدة وتأثيره على اسرائيل اجاب المتخوفين من النواب على الدولة الصهيونية بقوله « ليس في المعاهدة ما يشكل خطراً على هذه الدولة » . وفي جوابه على احد النواب عما اذا كان خارج نصوص المعاهدة ايما اتفاق بين الجانبين التركي والعراقي يتعلق بالقضية العربية الاسرائيلية ، صرّح من على منبر المجلس « اذا كان هناك ايما اتفاق من هذا النوع بين الدولتين المتعاقدتين ، فان بريطانيا لا تتقيد به اطلاقاً (مع التشديد على كلمة اطلاقاً) .

وفي مجلس العموم ايضاً قال ايدن بعد عودته من رحلته في الشرق ، ومباحثة نوري السعيد بالمعاهدة التركية العراقية وانضمام بريطانيا اليها ما يلي ، وهو خلو من ايما بحث عن اسرائيل باعتبار هذه القضية غير واردة البتة . قال الوزير البريطاني :

« لما كنت في بغداد بحثت مع رئيس وزراء العراق

المسائل التي قد تنشأ فيما لو قررت بريطانيا الانضمام الى الميثاق التركي العراقي . فغايتنا ان ننشيء رابطة جديدة مع العراق ، يكون من شأنها جعل علاقتنا متجانسة مع علاقتنا الحالية ، القائمة بين تركيا وغيرها من شركائنا في منظمة شمالي الاطلسي . ولا بد ان تؤخذ الاسلحة الجديدة واختلاف الاحوال السياسية بعين الاعتبار في كل معالجة جديدة لتدابيرنا الدفاعية المشتركة الرامية الى مقاومة العدوان **الخارجي في هذه المنطقة** (العدوان الصهيوني لا يعتبر عدواناً خارجياً) وبالامكان تلبية حاجاتنا المشتركة بطرق احدث من تلك التي حوتها المعاهدة البريطانية العراقية المعقودة قبل عشرين سنة ، وشكل يختلف عنها ايضاً . »

وهذا ناظر الخارجية الأميركية ، فهو لا يترك فرصة تمر ، الا ويصرح فيها ، ان السياسة الاميركية ، اذ تعمل على انشاء جبهة دفاعية (هو يسميها دفاعية من باب النفاق السياسي) تعتمد بالاكثر على الدولتين تركيا واسرائيل اكثر مما تعتمد على الدول العربية ، وان اسرائيل ، بعد ان تقوم المصالحة بينها وبين العرب ، وهي المصالحة التي تسعى اليها اميركا ، ستكون ركناً من اركان هذه الجبهة ، لان الجبهة هذه لا يجوز ان تبقى فيها ايما ثغرة ، من الباكستان الى تركيا لكي تتصل بواسطة هذه الاخيرة بجبهة شمالي الاطلسي .

وفي كل مشروع تقوم به الولايات المتحدة الاميركية تضع نصب عينيها ، الفائدة التي تجنيها اسرائيل منه ، ومشروع جونستون لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده يعطي الدليل الساطع على مدى اهتمام الولايات المتحدة بالدولة الصهيونية . ان هذا المشروع يهدف الى غايات ثلاث . اولها تشغيل الرساميل الاميركية واستثمارها الى اقصى حد . وثانيها اعطاء اكبر كمية ممكنة من مياه نهر الاردن لاسرائيل . وثالثها ارواء الاراضي العربية المحيطة به والقريبة منه . والغاية الثالثة هي اقل الغايات الثلاث نصيباً من الفائدة ، مع ان نهر الاردن ، على ما اعلم جغرافياً ، ينبع من اراضٍ عربية ، ومجراه في قسمه الاكبر ، يمر في اراضٍ عربية . ولو قصدت الدول العربية ، لكان بمقدورها ان تحوّل مياهه الى اراضيها . ولكن اسرائيل عمدت هي نفسها الى ما عفّ عنه العرب ، وبادرت الى تحويل مياهه من القسم الذي يمر في اراضيها لكي تحرم الاراضي العربية من فائدتها . ومع هذا لم تقل لها الدول الغربية « ما احلى الكحل في عينيك » ضاربة عرض الحائط باحتجاجات اصحاب القسم الاكبر من مياه نهر الاردن.

ثم جاء جونستون يعطي اسرائيل ما لا يحق لها ، او ، اذا اخذنا بالتقسيم الجغرافي ، نقول اكثر مما يحق لها. وعندما احتجت الحكومات العربية ، جعل يهدد بان ما

لا تقبل به هذه الحكومات طوعاً منها ستقبل به رغماً عنها .

وتحاول الولايات المتحدة الاميركية ، ان يكون لاسرائيل فائدة من مشروع الليطاني ، الذي لا يمر ابداً في اراضي اسرائيل . فقد رأينا كيف يحاول الخبراء الاميركان ، ان يؤمنوا لاسرائيل النفع من هذا المشروع ، الذي سيموله لبنان ، اما من خزينته او من ضرائب يجمعها من الاهلين ، او من قروض يقترضها من البنك الدولي للانشاء والتعمير ، وهو بنك اميركي تسعين بالمائة . لقد فضح هذه المحاولات مهندسون وخبراء لبنانيون (دروس المهندس شدياق وقد نشرتها الصحف اللبنانية) وارتفعت عليها الضجة من اوساط لبنانية تقطن المنطقة وتشعر اكثر من غيرها بما يحدث فيها ، ومن نواب في المجلس النيابي اللبناني . واذا كنا نتمنى ان تكون الحكومة اللبنانية قد اخذت بعين الاعتبار محاولات الخبراء الاميركيين ، وهي جاهدة لاحباطها ، كما تقول ، مع عدم ايماننا بذلك ، فليس هناك ما يدل ، على ان هؤلاء الخبراء (الخبراء في السياسة أكثر مما هم خبراء في التقنية) ازالوا من رؤوسهم الفكرة التي بُعثوا من اجلها . ان المستقبل وحده سيحكم ، واكثر ما نخشاه ان يأتينا المستقبل ، محققاً لاحلام الدولة الصهيونية ، ولارادة حماتها الاميركان ، فنساعدهم في حمايتهم للصهيونية ، عندما

نتحالف معهم .

فاذا اضفت الى ما ذكر ما لم يذكر ، وهو كثير، كالعطف التي تبديه الدول الغربية على اسرائيل ،ومساعدتها لها ، وغض النظر عن اعتداءاتها وتوسعها الى ابعد مما حددته لها الامم المتحدة ، فايّ قيمة تبقى لمن يؤيدون الاحلاف مع الدول الغربية باعتبارها وسيلة لتقوية العرب ضد اسرائيل ؟

ومن اسخف ما سمعت من هؤلاء قولهم ، ان الشرط الذي تشترطه اميركا بتقديمها السلاح لنا ، والقاضي بعدم استعماله ضد اسرائيل ، انما هو شرط من جانب واحد . فعندما نصبح اقوياء بواسطة هذا السلاح ، يمسي بمقدورنا ان نتجاهله ، فنضرب به اياً كان وبالدرجة الاولى اسرائيل . هراء مـــا بعده هراء . هؤلاء يحسبون انهم أدهى من الولايات المتحدة ، وباستطاعتهم ان يلعبوا عليها . كان بودنا ان نصف هؤلاء بالمسكنة والجهل . ولكنهم ليسوا جهلاء بل هم محسوبون علينا فهماء . ماذا هم اذاً ؟ الجواب عندك يا اخي القارىء .

ان الخطر الصهيوني قائم . وهو سيظل قائماً ما دامت فكرة التوسع ، التي تراود الصهيونية العالمية تدغدغ اقطاب اسرائيل ، وما دامت الدولتان الغربيتان اميركا وبريطانيا تحضنانها ، وتريان فيها ركيزة لها في استعمارها للشرق العربي ، وما دامت العنصرية الصهيونية ، هي العنصر

الاول والأهم في كيان هذه الدولة .

ليست قضية اسرائيل قضية تنازع بين طرفين ، بل هي قضية عالمية صهيونية ، وجزء لا يتجزأ من الاستعمار الغربي في الشرق . فحلّها اذن لا يكون عن طريـــق التحالف مع هذا الاستعـمار ، اذ ليس معقولاً ان يعمل شيئاً ضد نفسه . ان الحلّ الصحيح لهذه القضية لن يأتي الاّ بعد ان تُرفع يد الاستعمار عنها .

الخطر الشيوعي

منذ بدأت الدول الغربية تدبّر مؤامراتها على البلاد العربية ، لاعادة استعمارها الى البلدان التي تخلصت منه ، وتركيزه في البلدان التي ما زالت تحت نفوذه بواسطة المعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين الدول الغربية ، وهي تصطدم بمقاومة عنيفة من قبل الشعوب العربية مما جعلها تفكر في طرق جديدة لانجاح مؤامراتها . واذ كانت الدول العربية تدرك مقدار تأثير المذاهب الغيبية على الشرق قاطبة ، فتقت لها الحيلة في العودة الى عهد الاساطير ، وخلقت اسطورتين ، هما اسطورة الخطر الشيوعي واسطورة العالم الحرّ .

وانشأت الدول الغربية تبث دعاواتها في العالم ، وعلى الاخص في البلدان التي كانت تستعمرها في الماضي ، وما زال يسيطر عليها نفوذها خشية ان تفلت من قبضتها ،

كما افلتت منها الاقطار الاسيوية . وكانت الدول الغربية لا تبخل ، لا بالمال ولا بالنفاق ، على هذه الدعاوات . وفعلَ المال والنفاق مفعولهما الى حين ، اذ ان الحقيقة لا يغطيها المال والنفاق الا الى حين .

غير ان بعض الحكام العرب ، الذين تربطهم صلة مع الدول الغربية ، ظلوا يرددون الاسطورتين ، وجعلوا يوهمون الناس بغيرتهم على الدين والحرية والقيم الروحية ، ناعين هذا كله في الفلسفة الشيوعية ، ومدّعين انه وقف على ما يسمونه بالعالم الحر . واشتدت حماسة هؤلاء الحكام ، واخذوا ينعتون كل من خالفهم بالرأي بالشيوعية والهدم ، وهم لا يفهمون شيئاً من الشيوعية ولا من اية عقيدة اخرى غير عقيدة الحكم لمجرد الحكم والتحكم .

لم يعد خافياً على احد ، ان الدول الغربية ، في دعايتها ضد الخطر الشيوعي ، لا تقصد خطر العقيدة الشيوعية ، بل تقصد خطر دولة شيوعية ، هي الاتحاد السوفياتي . ولو لم يكن كذلك ، لما تصافحت مع دولة شيوعية اخرى ، عندما قبلت الانحياز لها . فالدول الغربية ترى في الدولة السوفياتية خطراً عليها وعلى استعمارها في الشرق العربي (سنفرد فصلاً خاصاً لما يسمّى بالخطر السوفياتي) . فكل ما تتحدث به الدعاية الغربية عن الشيوعية والحرية والقيم ، لا يمت الى العقيدة بايما صلة ، اذ ان كل العقائد في نظرها ، ليست شيئاً اذا لم تتلاءم

مع عقيدتها الوحيدة ، وهي عقيدة الاستعمار ، لا سواها .

هذا من جهة الدول الغربيّة . امـا من جهة الحكام العرب الذين يعزفون معزوفـة الخطر الشيوعي ، فشأنهم ابشع واضـلّ . هؤلاء في خوفهم على انفسهم ونفوذهم ومراكزهم ، يجدون في هذه المعزوفة ، الوسيلة الوحيدة لاخفات كل صوت ضـدّهم ، وكبح كل حركة شعبيّة تهدف الى تقويمهم او اصلاحهم ، او ازاحتهم من مراكز يتولونها ولا يستحقونها . ان غيرتهم على الدين غـيرة كاذبة ، لأنهم لا يعملون بما تأمر به الاديان بل يتاجرون بالاديان . والقيم الانسانية والروحية التي يتظاهرون بالحدب عليها ، هم اول ممتهنيها . والحرّية التي يمجدونها باقوالهم وخطبهم ، ليس من يطعنها مثلما يطعنونها هم . لو كان للحرّية فمٌ ولسان ، لأنزلت عليهم صواعـق شتائمها ، وسفهتهم تسفيهاً ، لانهم اكثر الناس عداء لها .

ان عازفي معزوفـة الخطر الشيوعي ، من حكـّام ومقرّبين اليهم ، ومن اوساط فوقيّة مفضّلة ومحظوظة ، ومن اصحاب نفوذ وسلطان ، هم انفسهم خطر على البلاد. هم يريدون ان يبقوا مستمتعين بما يتمتعون به من سيادة وامتيازات ، ويريدون ان تبقى عامة الشعب مطيّة لهم ، ويغارون على الواقع الذي تشكو منه العامّـة ، ولا يشكون منه هم . هؤلاء لا يرغبون في شيء اكـثر مما يرغبون في استقرار الاوضاع . واستقرار الاوضـاع لا

يكفله لهم غير « العالم الحرّ » . فلماذا لا يحالفون دول هذا العالم الاسطوري ، لكي يساعدهم في الدفاع عن انفسهم ومصالحهم ضـــدّ الشعب ، شعبهم بالذات ، ما دامت مصلحتهم ومصلحة هذه الدول سواء بسواء ؟

لقد اصبحت حكاية الخطر الشيوعي وآدميّة العالم الحرّ ، حكاية مبتذلة الى اقصى حدود الابتذال . ولكنها على كل حال حكاية ما زالت الدول الغربية ترددها ، املــاً بترسيخ ما يمكن ترسيخه منها في عقول البسطاء ، او على الاقل ، املاً بخداع من يسهل خداعهم . وما زال بعض حكام العرب واصحاب النفوذ فيهم ، يردّدونها ، خـدمة للدول الغربية من جهـــة ، وابقاءً على تحكمهم بحياة شعوبهم ومصائرها . فلا غرو اذا سعى عازفو معزوفـة الخطر الشيوعي وآدمية العالم الحرّ ، من الجهتين ، ان يتحالفوا فيما بينهم ، مهما كان عزفهم ناشزاً ، ومهما كانت معزوفتهم غليظة على الاسمـــاع ، ومهما كان في محالفتهم خطرٌ على الناس .

ان العقيـــدة الشيوعية ، اذا كانت خطراً على الذين يعتبرونها كذلك ، فهي لا تقاوم بالاضطهاد والتشريـــد والاعتقالات والمحالفات العسكرية . ان العقائـــد تقاوم بالعقائد ، فيسلم منها الافضل والاصلح . ولكن هـــل نطلب من مقاومي الشيوعية عندنا ان يقاومـوها بسلاح ليس عندهم منه شيء ؟

العدوان السوفياتي

ليس بين حجج مؤيدي الاحلاف مع الغرب اسخف من هذه الحجة . ان الدول الغربيّة ما زالت تردد هذه النغمة منذ بدأت تفكر بمعاداتها للدولة السوفياتية . وقد بدأت تفكر بها قبل انتهاء الحرب الاخيرة ، كما دل على ذلك : الكتاب الذي ارسله تشرشل للمارشال مونتغومري عن وجوب الاحتفاظ بالاسلحة الالمانية لحاجة الغرب اليها في حرب ضد روسيا ، ذلك الكتاب الذي انفضح سرّه قبل اعتزال تشرشل الحكم في بريطانيا بشهرين . ومن المفيد ان اذكر حديثاً جرى لي مع ضابط كبير في الجيش البريطاني عام ١٩٤١ عقب دخول الجيش البريطاني الى لبنان وسوريا ، لوجود المناسبة .

لقد جرى الحديث على سطيحة فندق شاهين في عاليه . كنا في ذلك الحين على اكثر ما نكون من الفرح والغبطة

لدخول الجيش البريطاني والخلاص من جيش فيشي . وكنا نعلق الآمال الكبيرة على ان بلادنا ستنعم بالاستقلال ، كما سينعم العالم كله بالسلام بعد اندحار المحور . وكان الجيش البريطاني يلاقي كل الترحيب والتأهيل . قلت للضابط (وكان برتبة زعيم) في جملة الحديث : « ان انتصار الحلفاء ، وهذا اصبح شيئاً اكيداً ، سيحقق للبلاد العربية استقلالها ، كما انه سيحقق للعالم سلماً دائماً . » فاجاب الضابط الكبير : « اما ان انتصارنا سيحقق استقلال البلاد العربية ، فهذا شيء متفق عليه ، اذا بقيت في تحالفها مع الديموقراطيات . واما ان نقف نحن عند هذا الحدّ ، فهذا ما لا يسعني تأكيده كما تؤكده انت . فنحن لن نطمئن الى سلم يكون للاتحاد السوفياتي نصيب كبير فيه ، ولن يكون لنا بدّ من محاربة روسيا عندما نتخلص من هتلر وموسوليني» . وعندما انفضح سر كتاب تشرشل للمارشال مونتغومري ، ذكرت ما قاله لي محدثي عام ١٩٤١ ، وادهشتني هذه الميكيافيليّة الخبيثة في سياسة الدول الغربية .

ان الدول الغربية كانت مصممة على خلق اسطورة العدوان السوفياتي ، وهي في ابان محنتها الكبرى ، على الرغم من كونها حليفة الاتحاد السوفياتي وقتئذ ، الذي لولاه لما خرجت من المحنة . وقد جعلت همها بعد الحرب إلباس هذه الاسطورة لباس الحقيقة ، متجاهلة ان زمن الاساطير مضى وفات . وها هي

الايام والحوادث تبرهن على ان كل ما تبثه الدول الغربية من دعايات تذهب عبثاً بعبث ، سواء أكان في عالمنا العربي ام في سواه .

ولعلّ العالم العربي هو اكثر ما استهدفته الدعاية الغربية في هذه الناحية . فهي تطمع بابقاء هـذا العالم تحت قبضة يدها ، ضمانة لاستثمارها لموارده الكثيرة ولا سيما النفطية منها . واكثر ما تخشاه هذه الدول ، ان تفيق الشعوب العربية على ما يصيبها من ظلم الغرب ، وتجري معـه حساباً على غير الشكل الذي تجريه حكوماتها معه . من اجل هذه الغاية ، اكثر من اية غاية اخرى ، تحـاول الدول الغربية ان تقنع الشعوب العربيـة بوجود الخطر السوفياتي عليها ، لكي يبقى ذاهلاً عن اخطارهـا هي ، وعن الخطر المداهم الاول الذي يمشي في ركاب اخطارهـا وهو الخطر الصهيوني . فهل تستطيع هذه المحاولات ان تفرض على الشعوب العربية تصديق شيء لا تشعر بوجوده؟ على هذا السؤال يجيب مراسل اميركي ، قضى سنوات في العالم العربي لبث الدعاية عن خطر العدوان السوفياتي . لقد قال هذا المراسل : « انني وزملائي نجهد انفسنا لاقناع العرب بخطر العدوان السوفياتي عليهم ، وما كانوا يقتنعون . كلما قلنا لهم انكم معرضون لعدوان من الاتحاد السوفياتي قالوا ، ليس هناك اية خطر علينا غير خطر الصهيونيـة والاستعمار الغربي . هذه عقدة ليس بوسعنا ان نحلهـا

بالدعاية ، بل يجب ان يوجد لها حل آخر . »

فهل هناك من خطر عدوان سوفياتي على البلدان العربيّة ؟

كلما استعرضنا الاحداث الدولية التي مرت على البلدان العربية بعد الحرب الاخيرة ، وكلما استعرضنا مواقف الاتحاد السوفياتي تجاه الاحداث ، يبدو لنا بجلاء ، ان ما تذيعه الدعاية الغربية عن خطر العدوان السوفياتي ، هو من قبيل « الشانتاج » لا اكثر ولا اقلّ . فالجيوش الاجنبية لم تكن لتجلو عن لبنان وسوريا لولا فيشنسكي ، الذي دافع عن هذين البلدين اكثر من وفديهما الى مجلس الامن . وعندما لم يجد دفاع فيشنسكي قبولاً من اكثرية اعضاء المجلس ، استعمل حقه في الفيتو لاول مرة ، وابطل اقتراح الدول الغربية المطاط . وكانت النتيجة بصالح سوريا ولبنان ، وجلت الجيوش الاحتلالية عن اراضيها . وفضلاً عن ذلك ، لم يكن للعرب ، في مجلس الامن والجمعية العمومية لهيئة الامم ، نصير اكبر من العضو السوفياتي ، بينما كان اعضاء الدول الغربية دائماً ضدهم .

وينبري مؤيدو الاحلاف مع الغرب للقول : ان الاتحاد السوفياتي ، في تأييده لتقسيم فلسطين واعترافه بدولة اسرائيل ، برهن على انه ضد العرب ، فهو اذن عدوّ للعرب كما هي الدول الغربية . ولكن هؤلاء ،

لا يقبلون بان يكون موقف الدول العربية تجاه الغرب والشرق سواء بسواء ، بل يتسامحون مع الغرب ويعفون عنه ، ويمشون في ركابه ، في الوقت الذي يقيمون فيه القيامة على الشرق . وهذا دليل على ان مؤيدي الاحلاف مع الغرب ، لا يأتون بهذه الحجة ، اي اعتراف الاتحاد السوفياتي باسرائيل ، الا ذرّاً للرماد في العيون . لو كانت مسألة تقسيم فلسطين والاعتراف بدولة اسرائيل ، هي المقياس الذي يقاس به اتجاه الدول العربية صوب الدول الغربية او صوب الاتحاد السوفياتي ، لكان على الدول العربية ان تقف تجاه الجانبين موقفاً واحداً على الاقل . هذا اذا ضربنا صفحاً عن الفروق المتعددة بين مواقف الدول الغربية وموقف الاتحاد السوفياتي من القضايا العربية الاخرى . ولكن لقضية فلسطين قصة اخرى ، لا نظن ان الدول الغربية والحكومات العربية ، تستطيع ان تخفي حقيقتها ، مهما حاولت تلك الدول او هذه الحكومات . وهي قصة لا نختلقها نحن ، بل نأخذها من محاضر هيئة الامم بالذات ، عندما صدر قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

في الجلسة التي عقدها مجلس الامن لوضع مشروع نهائي لحل قضية فلسطين ، كان مندوب الاتحاد السوفياتي غروميكو هو وحده ضدّ مشروع التقسيم . ولكنه اضطر للقبول به عندما رفض مجلس الامن الحلّ الذي

تقدّم به ، وهو قيام دولة اتحادية ديموقراطيّة على شكل الدول الاتحادية الموجودة في بعض انحاء العالم . قال غروميكو في تلك الجلسة : « ان الحلّ الوحيد والافضل لصيانة مصالح العرب واليهود هو بقيام دولة اتحادية من الشعبين »[1] غير انه ، لا الدول الغربية ولا اسرائيل ، حتى ولا العرب قبلوا بهذا الحلّ . عندها عاد غروميكو الى القول : « ما دام مجلس الامن يرفض هذا الحلّ ، وما دامت العلاقات العربية اليهودية ساءت الى هذا الحدّ ، فلا يبقى اذاً امام المجلس الاّ التقسيم ، على ان تقسم فلسطين الى دولتين ديموقراطيتين ، عربيّة ويهودية[2] (بعد فوات الاوان تقدم احد مندوبي العرب هو مندوب لبنان على ما اذكر ، بمشروع مماثل لمشروع الاتحاد السوفياتي) .

منذ طرحت قضية فلسطين على بساط البحث في الأمم المتحدة كانت الولايات المتحدة مصمّمة على تقسيمها . وليس من يستطيع تجاهل ضغط الولايات المتحدة على مندوبي الدول الخاضعة لها ، في الفترة التي مرّت بين جلستي ٢٦ و ٢٨ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، اذ انه لو جرى التصويت في الجلسة الاولى لما حاز قرار التقسيم الاكثرية العددية . ففي اليومين الفاصلين بين الجلستين ، لم تترك الولايات المتحدة وسيلة من وسائل التهديد او الاغراء الاّ

---

١ راجع محضر جلسة الامم المتحدة صفحة ٣٧ A/PV. 78 .

٢ المحضر نفسه .

واستعملتها . وكان ان غيّر مندوبو هايتي والفيليبين وغيرهم آراءهم .

وفيما كان مندوب الاتحاد السوفياتي يقول موجهاً كلامه لمندوبي العرب : « اذا كانت بلادي لم تجد بداً من القبول بمشروع التقسيم ، فالعرب سيلاقون في الاتحاد السوفياتي اعظم مؤيد لهم في حقوقهم المشروعة وفي نضالهم للتحرّر من الاستعمار وبقاياه »[١] (واظن ان العرب في نضالهم الى الان وجدوا هذا التأييد الذي تحدث عنه غروميكو عندئذٍ) وفيما كان غروميكو يصرّح بهذا كان جونستون مندوب الولايات المتحدة يقول : « اذا كنا سنعمل شيئاً ما في هيئة الامم لحلّ هذه المشكلة ، فلن يكون بوسعنا ان نعمله بدون ان نستعمل السكين »[٢] .

وعلى اثر صدور قرار التقسيم ، لم تجد الوفود العربيّة آنذاك ، في موقف الاتحاد السوفياتي عدواناً عليها ، بل وجدت هذا العدوان في الدول الغربية ولا سيما في الولايات المتحدة . وكان أن انصبّت على الولايات المتحدة غضبة مندوبي العرب ، حتى من شارل مالك والجماليّ ، اصدق اصدقاء اميركا اليوم ، وقطبي الدائرة في مشاريعها التحالفية . ولنقلّب المحاضر ونقرأ ما جاء فيها على لسان مندوبينا .

---

١ محضر هيئة الامم صفحة ١٥٦ A/P. V. 125 .

٢ محضر هيئة الامم صفحة ٦٨ A/P. V. 127 .

« ان سياسة الدولة الكبيرة (مشيراً الى اميركا) في قضية فلسطين موحى بها من مصلحتها الانتخابية في مدينة كبيرة من مدنها » [1] هكذا قال محمود فوزي وايده فاضل الجمالي مردداً تصريح وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم الذي جاء فيه : « في الشؤون الدولية لا يسعني معالجة امر ما اذ اخضعت تسوية هذا الامر لمصلحة انتخابية محلية » [2] .

وفي قسوة ما بعدها قسوة ، قال مندوب لبنان كميل شمعون (رئيس جمهورية لبنان اليوم) : « انها لطريقة مستهجنة ، ان يلاحق مندوبو الدول ، في غرف نومهم ، وفي الاروقة ، وفي الفنادق ، ويهددوا بمختلف طرق التهديد ، لكي يصوتوا كما تريد دولة كبيرة ، وبطريقة غير ديموقراطية . ان هذه الامة الكبيرة الجبارة ، واعني بها الولايات المتحدة ، التي تنظر اليها الشعوب كممثلة للحرية والعدالة والمساواة ، هي اليوم ، واقولها بأسف ، واكرر الاسف ، تتخلى عن جبروتها ، وتتلبس بلباس قزم . » [3]

وعندما اعلنت الولايات المتحدة اعترافها بدولة اسرائيل بعد دقائق معدودة من صدور القرار ، انطلقت غضبة شارل مالك ، حبيب اميركا ومحبها ، وقال بأعلى صوته :

---

١ محمود فوزي وزير خارجية مصر حالياً. محضر A/P. V. 124 ص ٧٧ .

٢ صفحة ١٢٧ في المحضر .

٣ صفحة ٥٦ و ٥٧ .

« ان الولايات المتحدة هي المسؤولة عمّا جرى في هيئة الامم بهذه القضية . منذ اربعة اسابيع ووفد الولايات المتحدة يؤكد لجميع الجهات ، ان غايته الوحيدة ، هي ضمان السلم والمسالمة . **اننا كنا نعتقد اننا نتعامل مع ناس شرفاء** (هذه الفقرة حذفت من الكتاب الذي تصدره هيئة الامم ولكنها مثبتة في المحضر بحرفيتها) . ان العرب قد خُدعوا ، وان تصرّف الولايات المتحدة منهم سيكون له اخطر ردّ فعل في الشرق الاوسط ، وستنهار مصالح الولايات المتحدة كلها في هذه المنطقة ، نتيجة لموقفها هذا . »[1]

قد تكون هذه الوقائع مجهولة من الذين يلومون الاتحاد السوفياتي على قبوله بتقسيم فلسطين واعترافه باسرائيل . ولكن مهما يكن الامر ، فهل يستطيع هؤلاء ان يفسروا لنا سبب عفوهم عما عملته الدول الغربية منذ الحرب العالمية الاولى ، من وعد بلفور ، الى إغراق فلسطين بسيل الهجرة الصهيونية ، الى تثبيت اقدام الصهيونيين في فلسطين واعترافها بالوكالة الصهيونية كمنظمة رسمية لها صلاحيات حكومية ؟ هل يستطيع هؤلاء ان يفسروا لنا غضّهم النظر عن المساعدات المتدفقة في اميركا على اسرائيل وعدم مبالاتها بكل ما تقوم به من اعتداءات ، واحتقارها لقرارات

١ محضر هيئة الامم المتحدة صفحة ١٥٦ Apv 125

هيئة الامم ، ورفسها برجلها قرار التقسيم بالذات ؟ وهل يستطيع هؤلاء ان يفسروا لنا غرامهم بالجانب الذي لولاه ، لما دخل الصهيونيون فلسطين من الاصل ، ولما وجدت المشكلة الصهيونية في فلسطين ، ولما كان الاعتراف بدولة لم يكن -لولا الهجرة التي سهلت لها اياها اميركا وبريطانيا- فيها شعب له حق المطالبة بانشاء دولة ؟ هل يستطيع هؤلاء ان يقولوا لنا اي ميزان يزنون به المسؤوليات ، واية مقاييس يقيسون بها الصداقات والعداوات ؟

ولكن لنعد قليلاً الى كلمة مندوب الاتحاد السوفياتي في هيئة الامم بعد صدور قرار التقسيم التي قال فيها : « ان العرب سيلاقون في الاتحاد السوفياتي اعظم مؤيد لهم في حقوقهم المشروعة وفي نضالهم من اجل التحرر الوطني » . هل يستطيع عشاق الغرب ، ان ينكروا على الاتحاد السوفياتي مواقفه التأييديّة للقضايا العربية ، سواء في لبنان وسورية ، او في مصر ، او في المغرب العربي ، او في المواقف العدائية التي تقفها اسرائيل ، بمساندة الدول الغربية ، ضدّ العرب ؟ قليلاً من المنطق يا جماعة الخير ، اذا كنتم مخلصين .

وفي هذه الاونة بالذات ، بينا الدول الغربية تحيك المؤامرات على العالم العربي ، وبينا تلجأ الدول الغربية الى جميع وسائل الضغط لاشراك الدول العربية في احلاف معها ، وبينا تدفع الدول الغربية صنيعتيها اسرائيل وتركيا

للتعدّي على العرب ، وبينما تجابه سوريا خطر مؤامرة مكشوفة على كيانها واستقلالها من عملاء الغرب ، لا يجد العالم العربي ، من بين الدول الكبرى ، دولة تهرع للدفاع عنه غير الدولة السوفياتية . فبعد بيان وزير خارجية الاتحاد السوفياتي عند انعقاد مجلس السوفيات الاعلى في شباط سنة ١٩٥٥ ، عن ضمان الدول السوفياتية لاستقلال الدول العربية ، تأتي هذه الدولة ببيان آخر على لسان وزير خارجيتها ، فيه الدلالة الكافية على حسن نية الاتحاد السوفياتي واستعداده لمناصرة الدول العربية . وهو البيان الذي استقبلته الاوساط العربية بالمزيد من الغبطة والشكر ، واستقبلته الدول الاستعمارية الغربية بالمزيد من الامعتاض . ان هذا التصريح يجب ان يضع حداً لشنشنة الغربيين وابواقهم عن اسطورة العدوان السوفياتي . ولعله من المفيد ان نسجل هنا ما في ذلك البيان من اهمية بالغة .

فبعد ان يشرح البيان ضروب الضغط والتهديد التي تقع على مصر والسعودية وسوريا ، من الدول الغربية ، خاصاً بالذكر تهديد تركيا لسورية ، مما يشكل خطراً على استقلالها ، يخلص الى القول « وبديهي ان الاتحاد السوفياتي لا يمكن ان يقف موقف المتفرج من الوضع الناشيء في منطقة الشرقين الادنى والاوسط ، بل ينبغي ان يكون مفهوماً مزيد الفهم نظراً الى ان الاتحاد

السوفياتي كائن على مقربة من هذه البلدان ، الامر الذي لا يمكن قوله بالنسبة للدول الاجنبية ، كالولايات المتحدة مثلاً ، الواقعة بعيداً آلاف الكيلومترات عن هذه المنطقة . » ويتابع البيان ، « والحكومة السوفياتية رغبة منها في تطوير التعاون السلمي بين جميع البلدان ، مستعدة لدعم وتطوير التعاون مع بلدان الشرقين الادنى والاوسط لما فيه تعزيز السلم في هذه المنطقة . وقد أعلن مجلس السوفيات الاعلى ، في بيانه الصادر بتاريخ ٩ شباط ١٩٥٥ انه يعلق بالغ الاهمية على قيام العلاقات بين الدول ، كبيرها وصغيرها ، على اساس مبادىء دولية تتفق ومصالح تطور التعاون الودي بين الشعوب في ظل السلم والطمأنينة . ويعتقد الاتحاد السوفياتي ان العلاقات بين الدول ، والامن الحقيقي يمكن ان تؤمن على اساس تطبيق المبادىء المشهورة الواردة في البيان الآنف الذكر ، وهي **المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وعدم الاعتداء والكف عن التعديات على وحدة اراضي الدول الاخرى واحترام السيادة والاستقلال الوطني »** .

ثم ينهي وزير خارجية الاتحاد السوفياتي بيانه الخطير بالقول التالي :

« ولسوف تؤيد حكومة الاتحاد السوفياتي كل مسعى من جانب حكومات بلدان الشرقين الادنى والاوسط ، يرمي الى تحقيق هذه المبادىء في العلاقات بينها وبين

الاتحاد السوفياتي ، والى توطيد الاستقلال الوطـــني لهذه البلدان ، والى تعزيز السلم والتعاون الودّي بين الشعوب . واذا ما استمرت سياسة الضغط والتهديـد حيال بلدان الشرقين الادنى والاوسط ، فان هذه المسألة ينبغي ان تبحث في هيئة الامم المتحدة . والحكومـة السوفياتية الذائدة عن قضية السلم ، ستدافع عن حرية دول الشرقين الادنى والأوسط واستقلالها وعدم التدخل في شؤونهـــا الداخلية . » *

وبعد هذا ، هل بوسع مؤيدي الاحلاف الغربيّة ، ان يدلوني على بادرة واحدة من بوادر العدوان السوفياتي ، الذي تجعجع به الدعاية الغربيّة وابواقها ؟

* يراجع بيان وزير خارجية الاتحاد السوفياتي بكامله ، وقـــد نشرته كل الصحف .

الاحتجاج بالواقعية

ويذهب بعض مؤيدي الاحلاف مع الغرب مذهباً هو الانخذالية بعينها . فيقولون انه لا مناص لنا من التحالف مع الغرب والانضمام اليه ، لان الغرب قائم عندنا ، ومصالحه الحيوية في بلادنا ، ومنطقتنا لازمة لاستراتيجيته ، وبتروله يفيض من اراضينا ، ونظامنا الحياتي مأخوذ عن نظامه الخ الخ .

هل سمعت في حياتك ايها القاريء بانخذالية احطّ من هذه الانخذالية ؟

لقد طالما ارتفعت الضجة من اصحابنا الواقعيين ضد من يطالبون بمحالفتهم الآن . ولقد طالما ثار هؤلاء على السياسة التي تنهجها الدول الغربية تجاه العالم العربي . كانوا يقولون ان الاميركان والانكليز هم المسؤولون الاولون عن نكبة فلسطين . وكان يحتجون على انحياز لجان الامم المتحدة

لاسرائيل ضد العرب ، واعضاء اللجان كلهم من دول الغرب . وكانوا يقيمون قيامتهم على امتهان كرامة اللاجئين وحقوقهم من قبل لجان الغوث الاميركية . وكانوا يرفعون الشكوى بعد الشكوى من اعمال خبراء (؟) النقطة الرابعة ويتهمونهم بالتجسّس . وكانوا يضجون من نهب الشركات الاستثمارية الانكلو اميركية لاموال البلاد وانتهاك حقوقها . وكانوا يرفعون عقيرتهم احتجاجاً على تدخل السفراء الغربيين في شؤون البلاد ، ويندّدون بكل حكومة تنحني امام ارادة هؤلاء السفراء . كان الكلام يخرج من افواههم صواعق على الدول الغربية ولا يسمّونها الا باسمها الحقيقي ، اي الدول الاستعمارية . كانوا يندبون حظ البلاد العاثر ، ويبكون على ضياع اموال البلاد وخروجها منها ، بواسطة ملوك المال في الغرب ، القابضين على اقتصاديات بلادنا ، بشركاتهم البترولية والتجارية والمشاريعية ، الحاكمة المتحكمة . كانوا يتحمّسون ويحمّسون غيرهم ضد نفوذ دول الغرب في حياتنا السياسية ، وتحكمها بحياتنا الاقتصادية . وكانوا يلتهبون غيرة على الا تكون بلادهم ، لا مقراً للاستعمار ولا ممراً . نعم ، كانوا يفعلون كل ذلك واكثر من ذلك . فاذا بهم ، وقد جدّ الجدّ ، وظهر عزم الدول الغربية ، على الا يكون في البلاد الا ما هو كائن ، تهدأ ثورتهم على هذه الدول ، ويتجاهلون شكاواهم منها ومن شركات ملوك المال فيها ، ويحبسون انفاسهم عن اساءاتها لعالمهم ،

ويتذرعون بالواقعية ، واقعيتهم ، رافعين ايديهم الى السماء ، وهم يقولون ، ليس بالامكان احسن مما كان ومما هو كائن الآن .

ان الاخذ بالسياسة الواقعية ، متى كان الواقع محفوفاً بالاخطار ، وموحى به من مصالح غير مصالح البلاد والشعب ، ومتى كان الاخذ بها تكريساً لمصالح الغير ، انما يعني الرضوخ لارادة هذا الغير المتسلط على الواقع . والاصح في هذه الحال ان تسمى السياسة الواقعية سياسة انخذالية . فالذين يتذرعون بالواقعية في تأييدهم الاحلاف مع الغرب ، بحجة ان الغرب موجود عندنا ، وله مصالح في بلادنا ، لا قبل له بالتنازل عنها ، ولا بجعلها متناسبة مع مصالحنا على الاقل ، فكأنهم يعملون لتكريس مصالح الغرب في بلادنا تكريساً مسجلاً ، واعطاء امتيازاته ونفوذه صفة الشرعية . عجيب امر هؤلاء ، الذين تخالهم ابطالاً وجبابرة عندما يتكلمون عن الاصلاح والاستقلال والوطنية ، ثم ينقلبون الى نعاج عندما يأتي دور العمل ، متسترين بما يسمونه سياسة واقعية ، تغطية لاستضعافهم ، او لشيء آخر من هذا النوع او ابشع منه . انا افهم ان يؤخذ بالواقعية في بلادٍ امرها بيدها ، وواقعها منها وفيها . ولكن ما لا افهمه ابداً ان تتغلب السياسة الواقعية على السياسة الكفاحية ، في بلاد مغلوبة على امرها ، ومصيرها معلق على ارادة غير ارادة شعبها .

على ان الملاحظ والداعي الى الريبة ، أن وعاظ السياسة الواقعية ، معظمهم من الاوساط المطمئنة الى هذا الواقع . اننا لا نتهمهم بالخيانة ، اذ قد يكون اطمئنانهم الى الواقع ، وغيرتهم على ان يظلوا مطمئنين ، يمليان عليهم واقعيتهم ، ويدفعانهم الى العمل للمحافظة عليها ، وهم لا يرون وسيلة افضل من عقدهم الاحلاف مع الغرب ، الذي يهمه من الواقع والواقعية ما يهمهم . ولكن هل بوسع اقطاب السياسة الواقعية ، الادعاء بانهم يعبرون عن ارادة الاوساط الشعبية الساحقة ، وهي غير مطمئنة كما هم مطمئنون ، ام انه ليس لهذه الاوساط العامة قيمة في دفتر حسابهم ، ما داموا قادرين على اغرائها او اغوائها ، او اخفات اصواتها بالقوة ؟ !

اننا نودّ ان نهمس في آذان فلاسفة الواقعيّة ، ان واقعيّتهم هذه واقعيّة انخذاليّة . بل نودّ ان نهمس في آذانهم ، أن المفرّ الذي يستحيل عليهم إيجاده للتخلّص من الاحلاف ، لا يعترف غيرهم ، مثلما يعترفون هم ، باستحالة وجوده . انه موجودٌ عند من يريدون ان يتخلّصوا من الاستعمار ، ومن يريدون ان ينعموا بموارد بلادهم ، ومن يريدون ان يعيشوا بسلام ، ولا يبقوا مستذلّين ، ومن يريدون ان يقيموا — بغير الكلام طبعاً — وزنا للكرامة الوطنية والقومية . انه موجود عند اكثرية الشعب الساحقة ، التي لا تستغل السياسة او

تديرها من الصالونات والابراج العالية . فاذا كان هؤلاء الفلاسفة لا يجدون هذا المفرّ ، فاما أنه ينقصهم الفهم والايمان ، أو أنهم يحسبون ان الوطن ، والوطنية ، والاستقلال ، والكرامة القومية ، سلعة تباع وتشرى في اسواق المساومة . ولست بحاجة الى القول ان البلاد لا تخسر شيئاً ، بل هي تربح ، اذا استغنت عنهم وعن فلسفتهم الواقعيّة الانخذاليّة .

ووزراء صرّحوا بذلك . المجلس النيابي في جلسات رسميّة قال ما نقوله . الاهلون في المناطق التي يتجول فيها خبراء المشروع لاخذ الصور والتجسّس بين الناس ، فلقوا الارض والسماء باحتجاجاتهم . جمعيّة الصناعيين والاقتصاديين ، نشرت اكثر من تقرير عمّا تلحقه النقطة الرابعة من اضرار بالصناعات الوطنية . الميزان التجاري بين لبنان والولايات المتحدة ينقض كل حجج المتفائلين بهذه المساعدات . ان ما تربحه الولايات المتحدة من لبنان ، سواء عن طريق التجارة بينه وبينها ، او عن طريق منحها اراضينا لمرور بترولها مقابل تعويض زهيد يُخجل من لم ينضب في وجهه ماء الحياء ، يفوق ما تقدمه لنا من مساعدة ، وتمنّ علينا به ، وتطالب بان نتقيد بارادتها من اجله ، عشرين ضعفاً على اقل تقدير ، كما تبيّن بوضوح ان هذه المساعدات هي جزء من عشرين من الاموال التي تنهبها منا الاوساط المالية الاميركية بطرقها الاستثمارية والتجارية المختلفة . فاعجب لناهب ينهب العشرين ، ويتكرم على من ينهبه بواحد منها ويطالبه بعقود تكفل له نهب الاجزاء التسعة عشر الباقية . فعلى هذا الضوء ماذا يبقى من حجّة المطالبين القلائل ، والقلائل جداً ، بانضمامنا الى الغرب ، لكي لا تحرم بلادنا من هذه النعمة ، نعمة المساعدات ؟

فلننتقل الى تفنيد الحجة الثانية .

مجابهة الخطر الصهيوني

مما لا شك فيه ان العالم العربي يواجه خطراً من قبل الدولة الصهيونيّة . وهو يتهم الدول الغربيّة ، والولايات المتحدة بالدرجة الاولى ، بأنها وراء هذا الخطر . وليس في البلاد العربيّة كلها من يبرّىء الدول الغربيّة من هذه التهمة .

لقد عاش اليهود في البلاد العربية اجيالاً وسنوات ، ولم يَنَلْهُمْ من العرب ايّما اساءة ، بل كانوا يتمتعون بجميع حقوق المواطن . فالعرب ليسوا عنصريين ، ولا يؤمنون بالعنصريّة .

ولكن اسرائيل لا تؤمن بما يؤمن به العرب من هذه الناحية . انها دولة عنصرية مائة بالمائة . ومنذ قامت في قلب البلاد العربية ، وهي تدلّل على تبنّيها القضية الصهيونيّه تبنّياً كاملاً . ان تصريحات اقطابها العالميّين ،

وتحرّشات اسرائيل بالدول العربية ، واعتداءاتها المتكررة على الحـدود ، ونياتها التوسعية على حساب الاقطار العربية ، كل هذا يعطي الدليل القاطع ، على وجـود الخطر الصهيوني ، على العالم العربي .

وكما انه ليس في الشعوب العربية من ينكر وجـود هذا الخطر ، فليس في هذه الشعوب ايضاً من يجهـل (باستثناء قلّة من الحكام تريد ان تتجاهل لغرض ما) ان للدول الغربية ضلعاً قوياً في ايجاده ، خدمة لغايتهـا الاستعمارية في الشرق العربي . وقـد دلّت الدول الغربيّة ولا سيما اميركا ، كما انها ما زالت تدلـّل ، على انها القوة وراء الستار ، واحياناً قدّامه ، الـتي تسند اسرائيل ، سواء في سكوتها عن اعتداءاتها المتكررة على العرب ، ام في تغذيتها بالمال والعتاد ، ام في وقوفها الى جانبها في القضايا التي تعرض في هيئة الامم المتحدة ، ام في قضية اللاجئين المنكوبين ، ام في تنفيذ قرارات جامعة الامم نفسها ، التي انتهكتها اسرائيل ، دون ان يحاسبها على ذلك احد من دول الغرب ، هذه الدول نفسها التي تسعى الى ضمّنا اليها ، والتي يسعى الى ضمّنا اليها ، نفرٌ من حكّامنا ، الذين نعفّ عن وصفهم باكثر من أنهم مخطئون .

ان الذين يؤيدون التحالف مع الغرب ، على اعتباره وسيلة لتقويتنا بالسلاح ، ومجابهة الخطر الصهيوني ، إمـا ينقصهم الكثير من الفهم والتفهم ، أو انهم مدفوعون بغايات

ليس فيها ما يشرّف . فالدول الغربية التي يريدنا هؤلاء ان نتحالف معها ، هي أمّ اسرائيل وابوها وحاميتها ومدللتها . ان المسؤولين في هذه الدول يصرحون علنا ، ودونما لف ولا دوران ، ان هذه الاحلاف ليست موجهة ضد اسرائيل ، بل هم يصرحون اكثر من ذلك ، ان هذه الاحلاف هي تمهيد لعقد الصلح بين العرب واسرائيل ، ومقدّمة للاشتراك معها في جبهة عسكرية موحدة ضدّ الشيوعية والاتحاد السوفياتي (تصريح وكيل خارجية الولايات المتحدة) . هذا فضلاً عن تصريح آخر ادلت به رسمياً مؤسسة المساعدات الخارجية الاميركية ، على اثر اتفاقية المساعدات العسكرية للعراق ، قالت فيه ، ان تقديم هذه المساعدات السلاحية للعراق ، مشروط بعدم استعمال هذا السلاح ضدّ اسرائيل ، الامر الذي لا يترك ايما قيمة لتصريحات نوري السعيد ، التي ادعى فيها عدم وجود ايما قيد او شرط في الاتفاقية المذكورة .

لو اردنا ان نجيء على الشواهد التي اعطتها وتعطيها الدولتان الأميركية والبريطانية ، والتي تثبت ان مجابهة الخطر الصهيوني ودولة اسرائيل ، ليست ذات موضوع في الاحلاف التي نعقدها مع الغرب ، لضاق نطاق هذا البحث عن استيعابها . ولذلك نكتفي منها بالقليل ، وهو ما ورد على لسان من لكلامهم اهمية خاصة لكونهم مسؤولين يديرون السياسة في الغرب .

في معرض التحدث عن معاهـــدة نوري السعيـد ـ مندريس والأشادة بها ، صرّح وزير خارجية بريطانيــا (رئيس الوزارة اليوم) ان هذه المعاهدة هي الاولى من نوعها ، لانها لم تتعرض لاسرائيل ، وليس فيها ما يبيت خطراً او عداء لهذه الدولة . ثم وصفها ايدن بأنها معاهدة حكيمة تدل على ان المتعاقدين فيها يتفهمون الواقـــع . وعندما سئل وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم عـن دخول بريطانيا في هذه المعاهدة وتأثيره على اسرائيـــل اجاب المتخوفين من النواب على الدولة الصهيونية بقـــوله « ليس في المعاهدة ما يشكل خطراً على هذه الدولة » . وفي جوابه على احد النواب عما اذا كان خـارج نصوص المعاهدة ايما اتفاق بين الجانبين التركي والعراقي يتعلـــق بالقضية العربية الاسرائيلية ، صرّح من على منبر المجلس « اذا كان هناك ايما اتفاق من هذا النوع بين الدولتين المتعاقدتين ، فان بريطانيا لا تتقيد به اطلاقاً (مع التشديد عـلى كلمة اطلاقاً) .

وفي مجلس العموم ايضاً قال ايدن بعد عودته مـــن رحلته في الشرق ، ومباحثة نوري السعيد بالمعاهدة التركية العراقية وانضمام بريطانيا اليها ما يلي ، وهو خلو من ايمـا بحث عن اسرائيل باعتبار هذه القضية غير واردة البتـــة . قال الوزير البريطاني :

« لما كنت في بغداد بحثت مع رئيس وزراء العراق

المسائل التي قد تنشأ فيما لو قررت بريطانيا الانضمام الى الميثاق التركي العراقي . فغايتنا ان ننشيء رابطة جديدة مع العراق ، يكون من شأنها جعل علاقتنا متجانسة مع علاقتنا الحالية ، القائمة بين تركيا وغيرها من شركائنا في منظمة شمالي الاطلسي . ولا بد ان تؤخذ الاسلحة الجديدة واختلاف الاحوال السياسية بعين الاعتبار في كل معالجة جديدة لتدابيرنا الدفاعية المشتركة الرامية الى مقاومة العدوان **الخارجي في هذه المنطقة** (العدوان الصهيوني لا يعتبر عدواناً خارجياً) وبالامكان تلبية حاجاتنا المشتركة بطرق احدث من تلك التي حوتها المعاهدة البريطانية العراقية المعقودة قبل عشرين سنة ، وشكل يختلف عنها ايضاً . »

وهذا ناظر الخارجية الأميركية ، فهو لا يترك فرصة تمرّ ، الا ويصرّح فيها ، ان السياسة الاميركية ، اذ تعمل على انشاء جبهة دفاعية (هو يسميها دفاعية من باب النفاق السياسي) تعتمد بالاكثر على الدولتين تركيا واسرائيل اكثر بما تعتمد على الدول العربية ، وان اسرائيل ، بعد ان تقوم المصالحة بينها وبين العرب ، وهي المصالحة التي تسعى اليها اميركا ، ستكون ركناً من اركان هذه الجبهة ، لان الجبهة هذه لا يجوز ان تبقى فيها ايما ثغرة ، من الباكستان الى تركيا لكي تتصل بواسطة هذه الاخيرة بجبهة شمالي الاطلسي .

وفي كل مشروع تقوم به الولايات المتحدة الاميركية تضع نصب عينيها ، الفائدة التي تجنيها اسرائيل منه ، ومشروع جونستون لاستثمار مياه نهر الاردن وروافده يعطي الدليل الساطع على مدى اهتمام الولايات المتحدة بالدولة الصهيونية . ان هذا المشروع يهدف الى غايات ثلاث . اولها تشغيل الرساميل الاميركية واستثمارها الى اقصى حد . وثانيها اعطاء اكبر كمية ممكنة من مياه نهر الاردن لاسرائيل . وثالثها ارواء الاراضي العربية المحيطة به والقريبة منه . والغاية الثالثة هي اقل الغايات الثلاث نصيباً من الفائدة ، مع ان نهر الاردن ، على ما اعلم جغرافياً ، ينبع من اراضٍ عربية ، ومجراه في قسمه الاكبر ، يمر في اراضٍ عربية . ولو قصدت الدول العربية ، لكان بمقدورها ان تحوّل مياهه الى اراضيها . ولكن اسرائيل عمدت هي نفسها الى ما عفّ عنه العرب ، وبادرت الى تحويل مياهه من القسم الذي يمر في اراضيها لكي تحرم الاراضي العربية من فائدتها . ومع هذا لم تقل لها الدول الغربية « ما احلى الكحل في عينيك » ضاربة عرض الحائط باحتجاجات اصحاب القسم الاكبر من مياه نهر الاردن.

ثم جاء جونستون يعطي اسرائيل ما لا يحق لها ، او ، اذا اخذنا بالتقسيم الجغرافي ، نقول اكثر مما يحق لها. وعندما احتجت الحكومات العربية ، جعل يهدد بان ما

لا تقبل به هذه الحكومات طوعاً منها ستقبل به رغماً عنها .

وتحاول الولايات المتحدة الاميركية ، ان يكون لاسرائيل فائدة من مشروع الليطاني ، الذي لا يمر ابداً في اراضي اسرائيل . فقد رأينا كيف يحاول الخبراء الاميركان ، ان يؤمنوا لاسرائيل النفع من هذا المشروع ، الذي سيموله لبنان ، اما من خزينته او من ضرائب يجمعها من الاهلين ، او من قروض يقترضها من البنك الدولي للانشاء والتعمير ، وهو بنك اميركي تسعين بالمائة . لقد فضح هذه المحاولات مهندسون وخبراء لبنانيون (دروس المهندس شدياق وقد نشرتها الصحف اللبنانية) وارتفعت عليها الضجة من اوساط لبنانية تقطن المنطقة وتشعر اكثر من غيرها بما يحدث فيها ، ومن نواب في المجلس النيابي اللبناني . واذا كنا نتمنى ان تكون الحكومة اللبنانية قد اخذت بعين الاعتبار محاولات الخبراء الاميركيين ، وهي جاهدة لاحباطها ، كما تقول ، مع عدم ايماننا بذلك ، فليس هناك ما يدل ، على ان هؤلاء الخبراء (الخبراء في السياسة أكثر مما هم خبراء في التقنية) ازالوا من رؤوسهم الفكرة التي بُعثوا من اجلها . ان المستقبل وحده سيحكم ، واكثر ما نخشاه ان يأتينا المستقبل ، محققاً لاحلام الدولة الصهيونية ، ولارادة حماتها الاميركان ، فنساعدهم في حمايتهم للصهيونية ، عندما

نتحالف معهم .

فاذا اضفت الى ما ذكر ما لم يذكر ، وهو كثير، كالعطف التي تبديه الدول الغربية على اسرائيل ،ومساعدتها لها ، وغض النظر عن اعتداءاتها وتوسعها الى ابعد مما حددته لها الامم المتحدة ، فايّ قيمة تبقى لمن يؤيدون الاحلاف مع الدول الغربية باعتبارها وسيلة لتقوية العرب ضد اسرائيل ؟

ومن اسخف ما سمعت من هؤلاء قولهم ، ان الشرط الذي تشترطه اميركا بتقديمها السلاح لنا ، والقاضي بعدم استعماله ضد اسرائيل ، انما هو شرط من جانب واحد . فعندما نصبح اقوياء بواسطة هذا السلاح ، يمسي بمقدورنا ان نتجاهله ، فنضرب به اياً كان وبالدرجة الاولى اسرائيل . هراء مـــا بعده هراء . هؤلاء يحسبون انهم أدهى من الولايات المتحدة ، وباستطاعتهم ان يلعبوا عليها . كان بودنا ان نصف هؤلاء بالمسكنة والجهل . ولكنهم ليسوا جهلاء بل هم محسوبون علينا فهماء . ماذا هم اذاً ؟ الجواب عندك يا اخي القارىء .

ان الخطر الصهيوني قائم . وهو سيظل قائماً ما دامت فكرة التوسع ، التي تراود الصهيونية العالمية تدغدغ اقطاب اسرائيل ، وما دامت الدولتان الغربيتان اميركا وبريطانيا تحضنانها ، وتريان فيها ركيزة لها في استعمارها للشرق العربي ، وما دامت العنصرية الصهيونية ، هي العنصر

الاول والأهم في كيان هذه الدولة .

ليست قضية اسرائيل قضية تنازع بين طرفين ، بل هي قضية عالمية صهيونية ، وجزء لا يتجزأ من الاستعمار الغربي في الشرق . فحلّها اذن لا يكون عن طريق التحالف مع هذا الاستعمار ، اذ ليس معقولاً ان يعمل شيئاً ضد نفسه . ان الحلّ الصحيح لهذه القضية لن يأتي الاّ بعد ان تُرفع يد الاستعمار عنها .

الخطر الشيوعي

منذ بدأت الدول الغربية تدبّر مؤامراتها على البلاد العربية ، لاعادة استعمارها الى البلدان التي تخلصت منه ، وتركيزه في البلدان التي ما زالت تحت نفوذه بواسطة المعاهدات والاتفاقات التي بينها وبين الدول الغربية ، وهي تصطدم بمقاومة عنيفة من قبل الشعوب العربية مما جعلها تفكر في طرق جديدة لانجاح مؤامراتها . واذ كانت الدول العربية تدرك مقدار تأثير المذاهب الغيبية على الشرق قاطبة ، فتقت لها الحيلة في العودة الى عهد الاساطير ، وخلقت اسطورتين ، هما اسطورة الخطر الشيوعي واسطورة العالم الحرّ .

وانشأت الدول الغربية تبث دعاواتها في العالم ، وعلى الاخص في البلدان التي كانت تستعمرها في الماضي ، وما زال يسيطر عليها نفوذها خشية ان تفلت من قبضتها ،

كما افلتت منها الاقطار الاسيوية . وكانت الدول الغربية لا تبخل ، لا بالمال ولا بالنفاق ، على هذه الدعاوات . وفعلَ المال والنفاق مفعولهما الى حين ، اذ ان الحقيقة لا يغطيها المال والنفاق الا الى حين .

غير ان بعض الحكام العرب ، الذين تربطهم صلة مع الدول الغربية ، ظلوا يرددون الاسطورتين ، وجعلوا يوهمون الناس بغيرتهم على الدين والحرية والقيم الروحية ، ناعين هذا كله في الفلسفة الشيوعية ، ومدّعين انه وقف على ما يسمونه بالعالم الحر . واشتدت حماسة هؤلاء الحكام ، واخذوا ينعتون كل من خالفهم بالرأي بالشيوعية والهدم ، وهم لا يفهمون شيئاً من الشيوعية ولا من اية عقيدة اخرى غير عقيدة الحكم لمجرد الحكم والتحكم .

لم يعد خافياً على احد ، ان الدول الغربيـة ، في دعايتها ضد الخطر الشيوعي ، لا تقصد خطر العقيدة الشيوعية ، بل تقصد خطر دولة شيوعية ، هي الاتحـاد السوفياتي . ولو لم يكن كذلك ، لما تصافحت مع دولة شيوعية اخرى ، عندما قبلت الانحياز لها . فالدول الغربية ترى في الدولة السوفياتية خطراً عليها وعلى استعمارها في الشرق العربي (سنفرد فصلاً خاصاً لما يسمّى بالخطر السوفياتي) . فكل ما تتحدث به الدعاية الغربية عن الشيوعية والحرية والقيم ، لا يمت الى العقيدة بايما صلة ، اذ ان كل العقائد في نظرها ، ليست شيئاً اذا لم تتلاءم

مع عقيدتها الوحيدة ، وهي عقيدة الاستعمار ، لا سواها .

هذا من جهة الدول الغربيّة . اما من جهة الحكام العرب الذين يعزفون معزوفة الخطر الشيوعي ، فشأنهم ابشع واضلّ . هؤلاء في خوفهم على انفسهم ونفوذهم ومراكزهم ، يجدون في هذه المعزوفة ، الوسيلة الوحيدة لاخفات كل صوت ضدّهم ، وكبح كل حركة شعبية تهدف الى تقويمهم او اصلاحهم ، او ازاحتهم من مراكز يتولونها ولا يستحقونها . ان غيرتهم على الدين غيرة كاذبة ، لأنهم لا يعملون بما تأمر به الاديان بل يتاجرون بالاديان . والقيم الانسانية والروحية التي يتظاهرون بالحدب عليها ، هم اول ممتهنيها . والحرّية التي يمجدونها باقوالهم وخطبهم ، ليس من يطعنها مثلما يطعنونها هم . لو كان للحرّية فمٌ ولسان ، لأنزلت عليهم صواعق شتائمها ، وسفهتهم تسفيهاً ، لانهم اكثر الناس عداء لها .

ان عازفي معزوفة الخطر الشيوعي ، من حكّام ومقرّبين اليهم ، ومن اوساط فوقيّة مفضّلة ومحظوظة ، ومن اصحاب نفوذ وسلطان ، هم انفسهم خطر على البلاد. هم يريدون ان يبقوا مستمتعين بما يتمتعون به من سيادة وامتيازات ، ويريدون ان تبقى عامة الشعب مطيّة لهم ، ويغارون على الواقع الذي تشكو منه العامّة ، ولا يشكون منه هم . هؤلاء لا يرغبون في شيء اكثر مما يرغبون في استقرار الاوضاع . واستقرار الاوضاع لا

يكفله لهم غير « العالم الحرّ » . فلماذا لا يحالفون دول هذا العالم الاسطوري ، لكي يساعدهم في الدفاع عن انفسهم ومصالحهم ضدّ الشعب ، شعبهم بالذات ، ما دامت مصلحتهم ومصلحة هذه الدول سواء بسواء ؟

لقد اصبحت حكاية الخطر الشيوعي وآدميّة العالم الحرّ ، حكاية مبتذلة الى اقصى حدود الابتذال . ولكنها على كل حال حكاية ما زالت الدول الغربية ترددها ، املاً بترسيخ ما يمكن ترسيخه منها في عقول البسطاء ، او على الاقل ، املاً بخداع من يسهل خداعهم . وما زال بعض حكام العرب واصحاب النفوذ فيهم ، يردّدونها ، خدمة للدول الغربية من جهة ، وابقاءً على تحكمهم بحياة شعوبهم ومصائرها . فلا غرو اذا سعى عازفو معزوفة الخطر الشيوعي وآدمية العالم الحرّ ، من الجهتين ، ان يتحالفوا فيما بينهم ، مهما كان عزفهم ناشزاً ، ومهما كانت معزوفتهم غليظة على الاسماع ، ومهما كان في محالفتهم خطرٌ على الناس .

ان العقيدة الشيوعية ، اذا كانت خطراً على الذين يعتبرونها كذلك ، فهي لا تقاوم بالاضطهاد والتشريد والاعتقالات والمحالفات العسكرية . ان العقائد تقاوم بالعقائد ، فيسلم منها الافضل والاصلح . ولكن هل نطلب من مقاومي الشيوعية عندنا ان يقاوموها بسلاحٍ ليس عندهم منه شيء ؟

العدوان السوفياتي

ليس بين حجج مؤيدي الاحلاف مع الغرب اسخف من هذه الحجة . ان الدول الغربيّة ما زالت تردد هذه النغمة منذ بدأت تفكر بعاداتها للدولة السوفياتية . وقد بدأت تفكر بها قبل انتهاء الحرب الاخيرة ، كما دل على ذلك : الكتاب الذي ارسله تشرشل للمارشال مونتغومري عن وجوب الاحتفاظ بالاسلحة الالمانية لحاجة الغرب اليها في حرب ضد روسيا ، ذلك الكتاب الذي انفضح سرّه قبل اعتزال تشرشل الحكم في بريطانيا بشهرين . ومن المفيد ان اذكر حديثاً جرى لي مع ضابط كبير في الجيش البريطاني عام ١٩٤١ عقب دخول الجيش البريطاني الى لبنان وسوريا ، لوجود المناسبة .

لقد جرى الحديث على سطيحة فندق شاهين في عاليه . كنا في ذلك الحين على اكثر ما نكون من الفرح والغبطة

لدخول الجيش البريطاني والخلاص من جيش فيشي . وكنا نعلق الآمال الكبيرة على ان بلادنا ستنعم بالاستقلال ، كما سينعم العالم كله بالسلام بعد اندحار المحور . وكان الجيش البريطاني يلاقي كل الترحيب والتأهيل . قلت للضابط (وكان برتبة زعيم) في جملة الحديث : « ان انتصار الحلفاء ، وهذا اصبح شيئاً اكيداً ، سيحقق للبلاد العربية استقلالها ، كما انه سيحقق للعالم سلماً دائماً . » فاجاب الضابط الكبير : « اما ان انتصارنا سيحقق استقلال البلاد العربية ، فهذا شيء متفق عليه ، اذا بقيت في تحالفها مع الديموقراطيات . واما ان نقف نحن عند هذا الحدّ ، فهذا ما لا يسعني تأكيده كما تؤكده انت . فنحن لن نطمئن الى سلم يكون للاتحاد السوفياتي نصيب كبير فيه ، ولن يكون لنا بدّ من محاربة روسيا عندما نتخلص من هتلر وموسوليني» . وعندما انفضح سر كتاب تشرشل للمارشال مونتغومري ، ذكرت ما قاله لي محدثي عام ١٩٤١ ، وادهشتني هذه الميكيافيلية الخبيثة في سياسة الدول الغربية .

ان الدول الغربية كانت مصممة على خلق اسطورة العدوان السوفياتي ، وهي في ابان محنتها الكبرى ، على الرغم من كونها حليفة الاتحاد السوفياتي وقتئذ ، الذي لولاه لما خرجت من المحنة . وقد جعلت همها بعد الحرب إلباس هذه الاسطورة لباس الحقيقة ، متجاهلة ان زمن الاساطير مضى وفات . وها هي

الاضعف تحت مطلق تصرفه . ونصيب الحليف الاكبر دائماً نصيب الاسد . هكذا يشترط الحلف ، والحليف الاصغر ، يجب ان يكون شريفاً لتوقيعه . والمحافظة على شرف التوقيع واجب على الضعيف اكثر من القوي . هكذا يقول كتاب الاقوياء ، وكتاب الاقوياء لا يفهمه غير الاقوياء ، لأنهم هم الذين وضعوه ، وهم الاولى بتفسيره .

فاذا لم يكن هذا استعماراً ، فالاستعمار كيف يكون ؟ ومتى تركز الحليف الاقوى في بلاد الحليف الاضعف على هذا الشكل ، فاية قوة يستند اليها الحليف الاضعف للتخلص من براثن الحليف الاسد ؟ هل يستطيع مؤيدو الاحلاف ان يجيبونا على هذا السؤال ؟

ولنبحث الآن الاحتمال الثاني ، وهو احتمال وقوع الحرب .

اذا وقعت الحرب ، لا سمح الله ، وكنا مرتبطين بحلف مع احد الجانبين المتحاربين ، نكون اشركنا انفسنا مع الجانب الحليف ، ووضعنا بلادنا وأبناءنا في الاخطار التي تحتم الحربُ وجودها . والاخطار هذه سيصيبنا منها اكثر كثيراً مما يصيب حليفنا منها . فالحرب اذا وقعت ستكون في ارضنا . واذا اضطر حليفنا الكبير للانسحاب نبقى نحن تحت رحمة خصمه ، الذي سيعاملنا معاملة العدو ،

بحكم اشتراكنا مع عدوه في محـــاربته ، وتكون بلادنا تعرضت للضرب من الجانبين ، من جانب خصم حليفنا قبل ان ينسحب هذا الحليف ، ومن جانب حليفنا بالذات اذا ما انسحب واحتلنا خصمه .

هنا ينبري مؤيدو الاحلاف مع الغرب للقول ، ولكن الغرب لا مناص له من احتلال بلادنا في حالة وقـــوع الحرب ، لان مصالحه الاقتصادية والاستراتيجيـة في هـذه البلاد تفرض عليه هذا الاحتلال . فنقول لهم نحن : مـا تقولونه هو الصحيح ، ولكن الاخطار عندئذ لا تكون بمقدار الاخطار التي نتعرض لها في حال تحالفنا معه ، اذ ان خصمه ، اذا استظهر عليه ، واحتل بلادنا محله ، فهو على الاقل لا يعتبرنا اعداء له ، ولن يكون عنده حجة لمعاملتنا معاملة العدو ، ما دام خصمه احتل اراضينا غصباً عنا . فاذا لم يكن لدينا المقدرة على منع احتلال دولة كـبرى لبلادنا ، فلنا المقدرة على الاقل ، ان نقول لها ، احتلي بشريعة القوة ، دون ان نسلحها بشريعة الحق عن طريق معاهدة نعقدها معها .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، لو فرضنا انه تمت المعجزة ، وانتهت الحرب بانتصار حلفائنا الغربيين ، فماذا سيصيبنا من الثمرة ؟ في الحربين الاولى والثانية ، غطسنا الى الرقاب مع دول الغرب ، وذقنا ما ذقنا من الويلات والاهوال ، فهل بين عشاق الغرب ومؤيدي الاحـــلاف

معهم ، من يستطيع ان يزهو بالحصة التي فزنا بها من انتصار حلفائنا دول الغرب ؟ اذا كان من يزعم ان الاستقلالات الظاهرية التي اخذتها الدول العربية ، هي من هبات الدول الغربية المنتصرة ، فهو على خطأ كبير ، وجهل اكبر . فالاستقلالات هذه اخذناها على غير ارادة هـذه الدول ، التي لم تكن لتقبل بها لولا تطور الانظمة السياسية الدولية ، ولولا تهيّب الدول الغربية صراخ الشعوب العربية ، ولولا تهيبها فتوى معنوية من اوادم الناس في العالم ساعدتنا في صراخنا ، وارغمت الدول الغربية على القبول بما لم تكن لتقبل به من فضلها وكرمها . وفضلاً عن ذلك ما هـي البوادر التي قامت بها او تقوم بها الدول الغربيـــة ، مدللة على احترامها لاستقلالات الدول العربية ؟

اذا اردنا ان نأخذ جواباً صحيحاً على هذا السؤال ، يطابق الواقع ، فليس هم الحكام والفئات الخاصـــة التي تستغلّ الاوضاع ، من يصح توجيه السؤال اليهم . هؤلاء يزعمون ان استقلال الدول العربية ، ليس احسن منـــه واصلح ، لانهم يزنون الاستقلال بموازينهم الخاصـــة ، ويقيسونه بمقدار ما كان لهم منه من فائدة . ان الجواب على هذا السؤال يجب ان يأتي من جمهرة الشعوب العربية ، من عامتها قبل خاصتها ، من المحكومـين قبـل الحكام ، من الذين خسروا فلسطين ومنكوبيها ، الذين يشعرون بخسارتها ، فعلاً لا صياحاً ، مـن الذين تنهبهـم شركات

الغرب الاستعمارية والاستثمارية ، من الذين يشعرون بوطأة الدول الغربية ونفوذ الدول الغربية ، من الذين ينالون من عنجهيتها ما لا تناله الفئات الحاكمة والمفضلة . ان جواب هؤلاء ظاهر ظهور الشمس في رابعة النهار ، ظاهر في هذا الكره العارم والمستعر في صدور ابناء الشعب ، هذا الكره الذي لم يكن يوجد مثله ، حتى في ايام الانتداب والاستعمار المباشر . هذا الكره الذي لا بد وان يتجلى اكثر فاكثر ، بعد ان تجرهم الاحلاف الى الشرك ، الذي تنصبه لهم الدول الغربية بمساعدة بعض الحكومات ومؤيدي الاحلاف معها .

قد تتجاهل دول الغرب ويتجاهل السائرون في فلكها هذا الكره ، وقد ينسبونه الى دعاية اجنبية ، وقد تقوى هذه الجماعة المؤيدة على كبت الشعور العام ، بما تملك من القوة ، التي لا تخفى مصادرها على احد . ولكن عندما تقع الواقعة ، وينقطع الرجاء ، ولا يبقى شبح الحرب خيالاً بل يصبح حقيقة ماثلة ، وعندما يطلب من عامة الشعب ان تذود عن نفسها وبلادها ، فلسوف يسمع هؤلاء ، اي الدول الغربية ومشايعوها ، صرخة العامة « عليّ وعلى اعدائي يا رب ! » وسيعرفون عندئذ من هم الاعداء الذين سيحاربهم الشعب ، ويساعد على هزيمتهم ويستميت في المساعدة على هزيمتهم .

والغريب الذي يحير العقول ، ان مؤيدي الاحلاف

مع الغرب ، لا ينكرون ما تقوله ، بل يعترفون به ويوافقون عليه ، الا من كان منهم مكابراً ، ولا يأخذ الامور بغير ظاهرها ، او اذا كانت عنجهيته لا تسمح له بضرب الحسابات واستخراج الحاصل من ضرب الحساب . فما نخشى منه على هؤلاء ، هو ان يندموا يوم الحساب .

ان الدول الغربية على ما يبدو ، تريد ان تهيئنا لخوض الحرب معها ضد الاتحاد السوفياتي ، الذي تعتبره هي عدوها الوحيد ، والذي لا نرى فيه نحن عدواً لنا . فهل تعتقد الدول الغربية والحكومات العربية المطواعة لها ، ان الشعوب العربية ، التي ستكون الحرب في اراضيها ، مستعدة لنصرتها ؟ لست احسب ان الدول الغربية غبية بهذا المقدار ، لكي تنام على حريرها اتكالاً على وعود من يوقعون معها الاحلاف . ان مؤيدي الاحلاف انفسهم ، بأكثريتهم الساحقة ، يعترفون بان ليس لنا مصلحة في محاربة الاتحاد السوفياتي ، وليست الدولة السوفياتية عدوّة لنا . وهؤلاء انفسهم يعرفون ، ان الشعوب العربية لن تقف اذا ما وقعت الحرب ، الى جانب الغرب . ليت هؤلاء يعقلون ويثوبون قبل ان يخطوا خطوتهم الخطرة .

ردّ ونـــداء

اما الردّ فعلى جماعة من المؤيدين ، تعيّر العرب بانهم كانوا دائمـــاً سلبيّين ، وان السياسة السلبيّة كانت حتى الآن سبباً لخسارتهم صداقة الدول . ومن تأييدهم للاحلاف مع الغرب يدّعـون ، وادعاؤهم هـذا يعتمد على تشويه الحقائق ، انه افضل للعرب ان ينتقلوا من السياسة السلبية الى السياسة الايجابيّة ، ويطلقوا كلمة لا ، ويستبدلوا بها كلمة نعم ، او بالاحرى يطلقوا كلمة « هذا لا نريده » ليقولوا كلمة « هذا ما نريده » .

ولكن ما هو هذا الذي يريـدونه ويفسرونـه سياسة ايجابيّة ؟ هل هو الأخذ بالامر الواقع ، مهما كان هذا مريراً ، اتكالاً على وعودٍ ينثرها عليهم الغرب بعـد ان توقّع الاحلاف ، وبعـد ان يخرج منها مستغلياً على الحقوق التي تضمنها له هذه الاحلاف ؟ ام هي الوعود التي

يعدهم بها ، بعد ان يتم له النصر في حرب يعمل لها ، ويطالبنا بان نعمل معه لها ؟ هذا اذا تمّ له ما يريد من النصر .

ان هذه الايجابيّة ، ايجابيّة انهزامية ، تجعلنا نترحّم على السياسة السلبيّة ، التي لولاها لما حصلنا على ما حصلنا عليه ، وان كان قليلاً بالنسبة لما كان يجب ان نحصل عليه .

اما نحن مقاومي الاحلاف ، فنرد عليهم ، بان ايجابيتهم هذه هي الانهزامية بشحمها ولحمها . فاذا كان هؤلاء يعدّون مقاومتنا للاحلاف ، التي ستجرّنا حتماً الى الحرب ، سلبية فما احلى هذه السلبيّة ، اذا كانت كذلك كما يقولون .

اننا نقول لهؤلاء ، ان سلبيتنا هذه هي الايجابيّة الصحيحة ، لانها ثائرة على الواقع المرير . ولأن الحياد الذي نطالب به ، هو الضمانة الوحيدة لاستقلالنا ، اذ ان في هذا الحياد فائدتين . الفائدة الاولى : تجنيب بلادنا قدراً لا يستهان به من خطر الحرب . والفائدة الثانية : اسهامنا بنصيب كبير ، في ابعاد احتمال وقوع الحرب . ان الدول الصغيرة لا تستطيع ان تؤدّب مثيري الحروب من الدول الكبيرة . هذا صحيح . ولكن شعوب الدول الصغيرة في وسعها ان تقول لا اريد الحرب . ومتى قالت هذه الشعوب ذلك ، ورفعت صوتها الى جانب اصوات

الشعوب الاخرى ، في الدول الصغيرة والدول الكبيرة ، فلا احسب ان المغامرين بالحروب يقدمون عليها ، قبل ان يعدّوا العشرة والمئة والألف .

ان شعوب الغرب بالذات ، في اميركا وبريطانيا وفرنسا ، ومن يمشي في فلكها من الدول الاخرى ، لا تريد الحرب . الذين يريدونها ، ويهيئون لها ، هم الفئة الحاكمة والفئات القريبة منها وهيَ الفئات التي تنظر الى الحروب كتجارة رابحة — رابحة لها بالطبع . ان الاحلاف التي يطالبنا بها الغرب احلافٌ دولية وليست احلافاً شعبية . ان الشعوب لا تطالب باحلاف عسكرية . هذا شيء ظاهر ومؤكد . ان الشعوب تطلب التعاون ، لكي تخدم نفسها وتخدم من يتعاون معها . فما من شعب على سطح الارض ، يطلب لنفسه الموت ، من اجل مصلحة حفنة من ابنائه ، لا همّ لهم الا المتاجرة به ، واستغلاله واتعاسه ، ولو اطبقت السماء على الارض .

اما النداء ، فنوجهه الى الشعوب العربية ، ان لا تعطي آذانها لدعاة الايجابية الانهزامية ، ولا تقع في اشراك الاحلاف الممهّدة لعودة الاستعمار ، ولا ترتكب جناية الاسهام في إعداد الحروب ، بل تستمر بمقاومتها لكل مشروع ، او حلف او شبه حلف يخفي نية عدوانية ، او يشتم منه رائحة استعمارية . ان مقاومتها هذه ، هي

الايجابيـة بعينها .

ان الشعوب العربية في معركة محتدمة بينها وبـين الاستعمار . وهذه المعركة تتطلب جهود كل من يقطـن تحت سماء هذا الشرق ، شعوباً وحكومات . فالذين يتخلفون عن خوض المعركة ، او الذين يدخلونها متخاذلين متذرعين بايجابية انهزامية ، إن هـؤلاء ، ليسوا اعداء الشعوب العربية واعداء الاوطان العربية وحسب ، بل هم اعداء انفسهم ايضاً لو كانوا يعلمون .

ان الاستعمار لم يكن اكثر جموحاً في جشعه مما هو اليوم . وهو لم يكن اكثر تخوفاً على نفسه مما هو اليوم . ولم يسبق للشعوب الضعيفة والمستعمرة ان جاءتها فرصة مؤاتية للتخلص من الاستعمار افضل من الفرصة السانحة اليوم . ان الجشع المستحوذ على المستعمرين ، الشاغل عقولهم وافكارهم ، ودافعهم الوحيد لما يفرضونه من احلاف ، او يقدمونه من مساعـدات ورشوات ، او ينثرونه من دعاوات واكاذيب ، يضاف الى ذلك ما يقوم به عملاؤهم هنا من اجراءات اضطهادية ، وتصرفات تعسفية واعتباطية – إن هذه الامور كلها ، لدليل على خوف الاستعمار على نفسه ، وخوف عملائه على انفسهم .

ان الوعي المتزايد يوماً اثر يوم في الشعوب العربيـة ، والنزاع المصلحي بـين هذا المستعمر وذاك ، وتعـدد المؤتمرات التي يعقدها اقطاب الاستعمار لفض خـلافاتهم ،

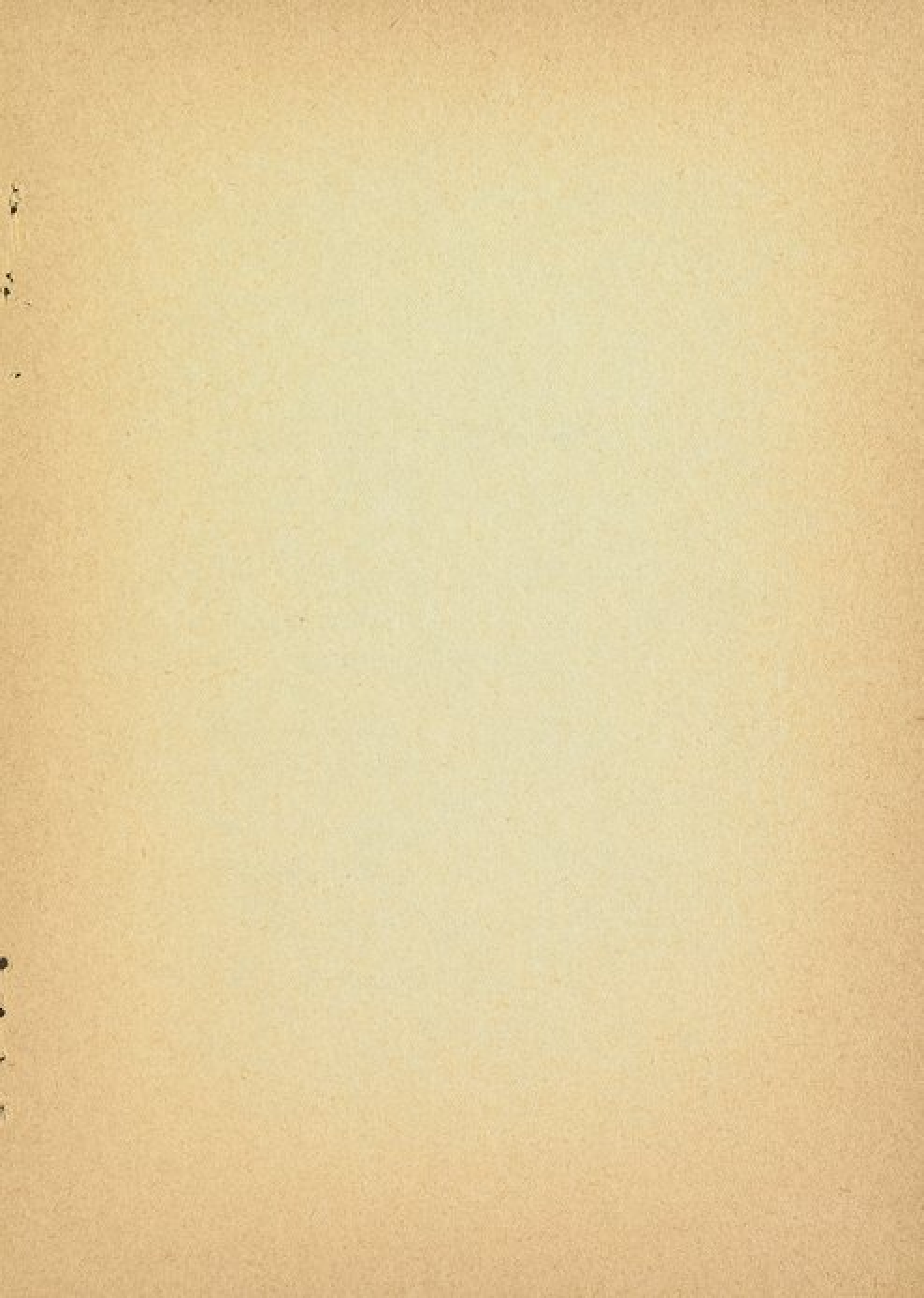
هذه المؤتمرات التي يدخلونها مختلفين ، ويخرجون منها اكثر اختلافاً ، والنجاح الذي احرزته الى الآن ، وستحرزه اكثر فاكثر ، قوى التحرر والسلم في الشعوب ان كل هذا من شأنه ان يبشرنا بفوز اكيد ومحتوم اذا استمررنا في كفاحنا وما بخلنا بالتضحيات .

واذا كان لنا من نداء نوجهه الى الحكومات العربية ، فهو نداء يخرج من الاعماق ، ان تضع يدها بيد شعوبها ، ولا تستوحي اعمالها الا من نضال هذه الشعوب ، ولا تؤخذ بالترهات ، ولا تستسلم للوعود الكاذبة ، ولا تقف بوجه عناد الشعب كي لا يفوتها الاوان وتندم عندما لا ينفعها الندم .

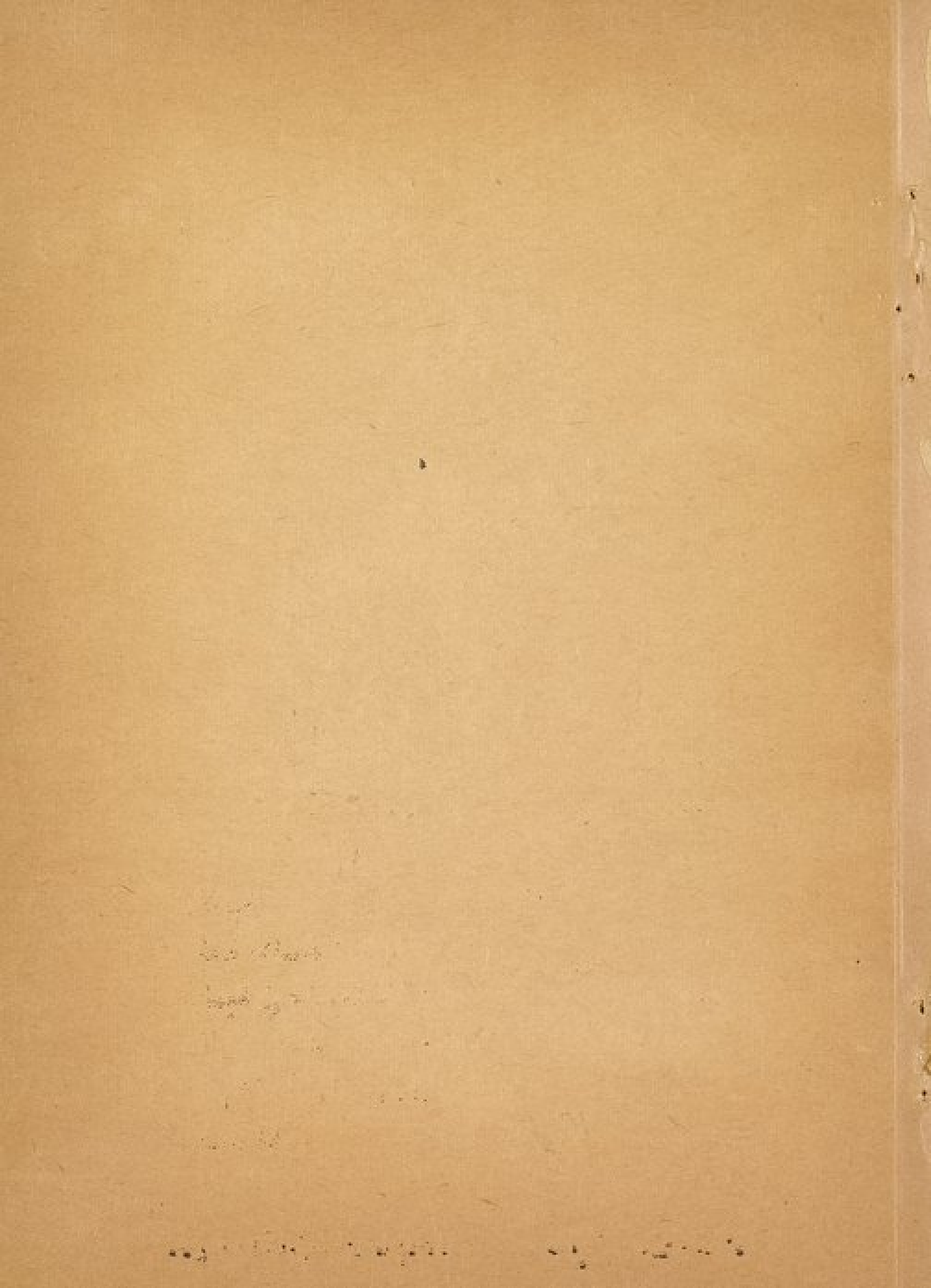
فليغط الايجابيون في ايجابيتهم هذه . اما الشعوب العربية ، فلن تنسحب من المعركة ، ولن تتراجع عن مقاومة الاستعمار ، والاحلاف التي يفرضها على حكوماتها الاستعمار ، والحروب التي يهيء وقودها الاستعمار . ان شعوب العالم كلها معنا ، وإن محبي الحياة والسلم كلهم حلفاؤنا ، وكثرة البشر في جميع اقطار المعمورة ، يناصروننا ويشدون ازرنا .

هذه هي ايجابيتنا . وهي هي الايجابية الخلاقة الفاعلة .

فهرست



٢٣٧/٥/٥٥/٢٠٠٠

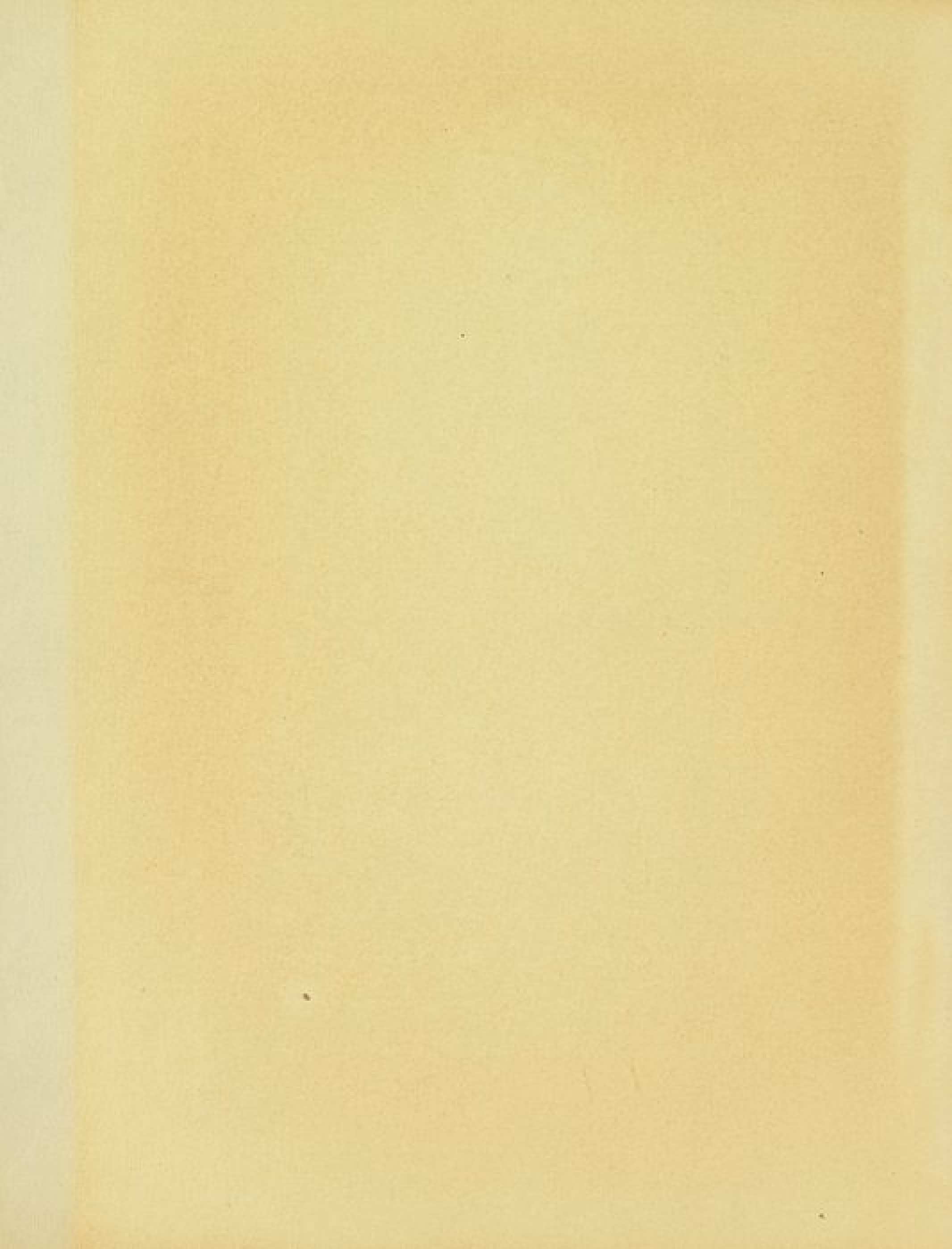




للمؤلف

	ق.ل.
الحارثيات	
١ . الوعي الاجتماعي	١٠٠
٢ . وقود للنار والنور	١٠٠
٣ . هرطقات فريسية	١٠٠
٤ . انا عائد من برلين	١٠٠
٥ . هذه الانسانية	١٠٠
٦ . أحلاف أم أشراك ؟	١٠٠
كهان الهيكل (الطبعة الثانية)	١٥٠
لاجئة	٢٠٠
قصة الانسان (الطبعة الثانية)	٢٥٠
ضجة في صف الفلسفة (الطبعة الثانية)	١٠٠
المرأة جسد وروح (الطبعة الثانية)	١٥٠
من الاحتلال الى الاستقلال (الطبعة الثانية)	٢٠٠
عبيد الجبار	٣٠٠

الثمن ١٠٠ ق.ل. او ما يعادلها   مطابع الآداب . بيروت






COLUMBIA UNIVERSITY
0026812622